روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

إعدام بطل

٥٨

رجل المستحيل ● إعدام بطل ● ٥٨ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٥٨

الثمن في مصر

إعدام بطل

- لماذا تم اختطاف (قدرى) ، خبير التزوير ، في (هاواى) ؟
- كيف يواجه (أدهم صبرى) (سونيا جراهام) هذه المرَّة ؟
- هل تهزم (سونيا) (أدهم) ؟.. هل يمكنها أن تسبِّب في (إعدام بطل) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ؛ لترَى كيف يعمل (رجل المستحيل).



العدد القادم: انتقام شبح

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـــ البرقية ..

« السيد مدير المخابرات العامّة المصرية ...

تمّ اليوم ، فى الخامسة وعشر دقائق فجرًا ، إعدام ضابطكم المصرى (أدهم صبرى) ، جثته فى الطريق إليكم .. مع تحيّات (سونيا جراهام) » .

كان هذا هو نص البرقية الشفرية ، التى جعلت مدير المخابرات العامة المصرية يقفز من خلف مكتبة فى ذُعر ، وهو يهتف فى جَزَع :

ـــ يا إلهى !!.. هذا مستحيل !

ثم رفع عينيه إلى المقدّم (خالد) ، الذى يقف أمامه على نحو يبدو كصورة مجسّمة للحزن والأسف ، وصاح فى وجهه متوتّرًا :

ـــ متى وصلت هذه البرقية ؟.. وكيف ؟

أجاب (خالد) فى انفعال :

ـــ لقد وصلت منذ خمس دقائق فقط ، والشفرة المستخدمة لكتابتها هى نفس الشفرة التى كان يستخدمها جهاز (الموساد)

فى الشهر الماضى ، ولقد أرسِلَتْ من جزيرة (هاواى) فى المحيط الهادى(*) ، منذ ساعة واحدة .

ضرب مدير المخابرات سطح مكتبه بقبضته فى غضب ، وهو يهتف :

ـــ وماذا كان يفعل (أدهم) فى (هاواى) ؟

تردّد (خالد) لحظة ، ثم غمغم فى ارتباك :

ـــ لست أدرى ياسيّدى .. إنه لم يحضر أمس إلى الإدارة ، ولقد تصوّرت أنه .....

قاطعه مدير المخابرات فى توتُّر :

ـــ سنناقش هذا فيما بعد ، المهم أن نتأكّد أولًا من صحّة البرقية ، أريد منكم أن تبحثوا عن (أدهم) هنا أوّلًا ، ثم ...

قاطعه (خالد) هذا المرّة ، وهو يقول فى تلعثم :

ـــ معذرة ياسيّدى .. ولكن المقدّم (أدهم) ذهب إلى (هاواى) بالفعل .

اتسعت عينا المدير فى دهشة ، وهو يقول :

ـــ ذهب إلى (هاواى) ؟!.

ثم تحوّلت دهشته إلى فيض من الغضب ، وهو يستطرد فى ثورة :

(*) (هاواى) : جزيرة من أشهر الجزر السياحية فى العالم أجمع .

ـــ كيف جرؤ على أن يفعل ذلك ؟.. ليس من حق أى رجل مخابرات أن يغادر دولته دون إذن رسمىّ .

ثم عادت الدهشة تملأ كيانه ، وهو يغمغمَ فى حَيْرَة :

ـــ ولكن لماذا فعل ذلك ؟.. لماذا ؟

تناول (خالد) من جيبه ورقة ، ناولها لمديره مغمغمًا :

ـــ لقد أرسل (أدهم) برقية من (هاواى) مساء أمس يا سيّدى ، وقال فيها إنه ذهب لإنقاذ (قدرى) .

ارتفع حاجبا المدير ، وهو يهتف :

ـــ يا إلهى !!.. ماذا يحدث هنا ؟.. ولماذا ذهب (قدرى) أيضًا إلى (هاواى) ؟

غمغم (خالد) فى ارتباك :

ـــ لقد كان يقضى إجازته هناك يا سيّدى .

عقد مدير المخابرات حاجبيه فى شدة ، وهو يحاول دراسة الأمر ، ثم لم يلبث أن لوّح بذراعه فى عصبية ، وهو يقول :

ـــ اطلب من (أنطوان) أن يأتى إلى مكتبى فورًا .. أخبره أن الأمر أخطر من أن نضيع لحظة واحدة .

واختلج صوته وهو يردف فى انفعال :

ـــ إنها حياة (رجل المستحيل) .

* * *

كان مدير المخابرات يعيد قراءة البرقية للمرَّة الألف ، حينما دلف إلى مكتبه شاب متوسط الطول ، لم يكد المدير يراه حتى صاح فى اهتمام :

ـــ (أنطوان) .. أنت الخبير المختص بشخصية (سونيا جراهام)(*) .. أليس كذلك ؟

عقد (أنطوان) حاجبيه ، وهو يقول فى تبرُّم :

ـــ بلى ياسيِّدى ، ولكن سيادة المقدِّم (أدهم صبرى) يصرّ على تجاهل ذلك تمامًا كلما .....

قاطعه المدير فى حِدَّة :

ـــ دَعنا من شكواك الآن يا (أنطوان) ، وحاول أن تشرح لى ما تعْنيه تلك البرقية .

تناول (أنطوان) فى دهشة ، البرقية التى أعطاه إيَّاها المدير ، ولم يكد يقرؤها حتى شحب وجهه ، وهتف فى ذُعر :

(*) فى كل جهاز مخابرات فى العالم ، يوجد ما يسمى بـ (مكتب خبراء الجانب الآخر) ، وهذا المكتب يضمّ عددًا من المختصين بدراسة العملاء البالغى الخطورة فى المخابرات الخصمة ، ويتولى كل خبير منهم شخصية واحدة ، بحيث يمكنه تقمص أسلوب تفكيرها عند الضرورة ، واستنتاج خطواتها المقبلة ، أو ردود أفعالها إزاء مواقف خاصة .

ـــ لقد قتلته ياسيِّدى .

وصلت عصبية المدير إلى ذروتها ، وهو يلوِّح بذراعه ، قائلًا :

ـــ ألا يحتمل أن تكون البرقية مجرد خدعة ؟..

بدا الحزن فى عينى (أنطوان) ، وهو يقول :

ـــ لا ياسيِّدى .. إنها ليست كذلك .

صاح المدير فى حِدَّة :

ـــ وما الذى يجعلك تجزم بذلك ؟

أجابَه (أنطوان) فى حزن وأسف شديدين :

ـــ إننى خبير فى شخصية (سونيا جراهام) يا سيِّدى .. صحيح أنها شديدة العجرفة والغرور ، ولكنها أيضًا شديدة الحذر ، ولن تجرؤ على إرسال برقية بهذا النص ، ما لم تكن قد تأكَّدت تمامًا من مصرع المقدِّم (أدهم) ، بما لا يدع مجالًا للشك ، ثم إن إضافتها لعبارة « جثته فى الطريق إليكم » تعنى أنها قد انتصرت انتصارًا ساحقًا .

امتقع وجه مدير المخابرات ، وتهاوَى فوق مقعده ، وهو يغمغم فى ألم :

ـــ هل أنت واثق يا (أنطوان) ؟

أطرق (أنطوان) برأسه ، وغمغم فى حزن شديد :

ـــ لم تؤلمنى ثقتى فى تحليل ما ، مثلما تؤلمنى هذه المرة ياسيِّدى ، ولكن الأمر لا يقبل الشك .

تشبَّث مدير المخابرات بحافة مكتبه ، وأغلق عينيه محاولًا إخفاء تلك الرجفة التى سرت فى جسده ، وتلك الدموع التى تجاهد للإفلات من عينيه ، وهو يغمغم فى صوت بدا وكأنه يحمل حزن الدنيا كله :

ـــ إذن فقد انتهى (أدهم صبرى) يا (أنطوان) .. لقد خسرنا إلى الأبد ، مَنْ كان يحمل لقب (رجل المستحيل) .

* * *



٢ ـــ البداية ..

تُرى ما الذى انتهى بالأمور إلى تلك الخاتمة المؤسفة ؟..

كيف انتهت حياة أعظم ضابط مخابرات فى العالم أجمع تلك النهاية المؤلمة ؟..

كيف قضى نحبه على يد ألد خصومه (سونيا جراهام) ؟..

كيف أمكن لتلك الأفعى الناعمة الحسناء أن تظفر به فى النهاية ؟..

لن يمكننا أن نذكر ذلك دفعة واحدة ..

لابدَّ أن نبدأ من البداية ..

بداية النهاية لحياة (أدهم صبرى) الحافلة ..

دعونا نعد ستة أيام إلى الوراء ..

دعونا نبدأ ملحمة (إعدام بطل) ..

* * *

كان اليوم شديد الحرارة ، والعرق يتصبَّب من وجوه الجميع ، حينما طرق (أدهم صبرى) باب حجرة (قدرى) ، ثم دفعه فى رفق ، ودلف إلى الحجرة دون أن ينتظر جوابه

كالمعتاد .. ولم يكد يفعل ، حتى ارتسمت ابتسامة مرحة على شفتيه ، وأطلق ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

ـــ يا إلهى !!.. معذرة ياسيّدى .. لقد أخطأت الحجرة لاشكّ .

انطلقت ضحكة (قدرى) مجلجلة فى مرح ، وهو يقول :

ـــ ارحمنى هذه المرّة من عباراتك الساخرة يا صديقى ، ولا تفسد إجازتى فى بدايتها .

ضحك (أدهم) مرّة أخرى ، وهو يتأمّله فى مرح ودهشة ، فقد كان (قدرى) يرتدى سروالًا ضخمًا أبيض اللون ، ينتفخ من أعلاه بكرشه الضخمة ، وقميصًا فضفاضًا مزركشًا بألوان زاهية ، قصير الأكمام ، ويصفّف شعره فى أناقة لم يعتدها ، ويخفى عينيه بمنظار شمسىّ داكن ، ولقد احمرَّ وجهه خجلًا ، حينما لاحظ أن (أدهم) يتأمله على هذا النحو ، وغمغم وهو يبتسم :

ـــ لقد كنت أجرى (بروفة) على مظهرى ، فسأقضى إجازتى هذه المرّة فى جزيرة (هاواى) .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ ولكنك تبدو كأصحاب الملايين فى هذا الزىّ

يا صديقى ، وخاصة بكرشك الضخمة هذه ، أراهنك أن رجال الجمارك فى (هاواى) سيظنون أنك تستخدمه لتهريب الممنوعات .

قهقه (قدرى) فى مرح ، وهو يقول :

ـــ المهم ألّا يصرُّوا على تفتيشه يا صديقى .

لوَّح (أدهم) بكفّه ، وهو يقول ضاحكًا :

ـــ لن يجرءُوا على فعل ذلك يا صديقى ، إلّا بعد استدعاء خبراء المفرقعات .

ثم جلس على المقعد المقابل لـ (قدرى) ، وهو يستطرد مبتسمًا :

ـــ ولكن لماذا وقع اختيارك على (هاواى) بالذات ؟

أغلق (قدرى) عينيه ، وهو يقول فى لهجة حالمة :

ـــ إننى أحلُم بذلك منذ طفولتى يا (أدهم) ، ولقد ادّخرت مبلغًا يكفى لمنحى أفضل إجازة فى عمرى كله .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ـــ كنت أحب أن أصحبك ، ولكن .....

قاطعه (قدرى) ضاحكًا :

ـــ لا .. يا صديقى .. أرجوك .. أريدها إجازة هادئة ،

وأنا لم أنس بعد ما حدث فى آخر إجازة قضيناها معًا(*) .

نهض (أدهم) ليربِّت على كتفه ، قائلًا فى وُدّ :

ـــ سأفتقدك كثيرًا يا صديقى ، ولكننى أرجو لك إجازة طيّبة ، وفّقك الله .. حاول أن تستمتع بكل لحظة منها .

هتف (قدرى) فى نشوة :

ـــ سأفعل يا صديقى .. سأفعل .. سأجعلها أفضل إجازة فى العمر بإذن الله .

* * *

استنشق (قدرى) هواء (هاواى) فى نشوة وسعادة ، واختزنه فى صدره لحظة ، وكأنه يتمنى الاحتفاظ به إلى الأبد ، ثم زفره فى قوة ، وابتسم ابتسامة عريضة ، وهو يتأمل الشاطئ الساحر ، وترك جسده الضخم يسترخى فوق مقعد وثير بالغ الضخامة ، وفرد ساقيه عن آخرهما يداعب الرمال البيضاء بقدميه العاريتين ، قبل أن يغمغم فى تلذُّذ :

(*) راجع قصة (رحلة الهلاك) .. المغامرة رقم (٥٤) .

ـــ يالها من إجازة ساحرة ، تستحق الساعات الثمانى عشرة ، التى استغرقتها الرحلة من القاهرة إلى هنا !!

تنهَّد مرّة أخرى فى عمق ، وكاد يغلق عينيه فى تراخ ، حينما سمع صوتًا يقول فى لهجة مرحة أمريكية :

ـــ هاهو ذا شخص آخر يضيع إجازته هباءً .

كانت العبارة غير محدودة على الإطلاق ، ولكن (قدرى) شعر أنها موجهة إليه بالذات ، فأدار عينيه إلى مصدرها ، وتطلّع فى هدوء إلى رجل وسيم ، رياضىّ القوام ، يقف أمامه مبتسمًا ، مرتديًا قميصًا أبيض اللون ، وسروالًا قصيرًا أزرق ، وتبدو الحيوية واضحة فى قسماته ، على الرغم من الشعر الأبيض الذى يصبغ فَوْدَيْه فى أناقة ، والتجاعيد القليلة حول عينيه ، والتى تؤكد أنه قد تجاوز الخمسين من عمره بعامَيْن على الأكثر .. وقبل أن يتفوّه (قدرى) بكلمة واحدة ، انحنى نحوه الرجل ، وهو يستطرد بنفس لهجته المرحة :

ـــ (هاواى) تزخر بأوجه المتعة المختلفة ياصديقى ، ومن الخطإ أن يضيع المرء فيها وقته مسترخيًا هكذا .

كانت لهجة الرجل أمريكية واضحة ، مما جعل (قدرى) يبتسم ، وهو يقول بالإنجليزية :



فأدار عينيه إلى مصدرها ، وتطلّع فى هدوء إلى رجل وسيم ، رياضىّ القوام ، يقف أمامه مبتسمًا ..

ـــ إننى أعمل طوال العام ، والإجازة عندى تعنى الاسترخاء .

أطلق الرجل ضحكة مرحة ، وربّت على كرش (قدرى) فى وُدّ ، كما لو كانا صديقين قديمين ، وهو يقول :

ـــ لا تحاول إقناعى ياصديقى .. إن لديك هنا من الأدلة ما يؤكد أن عملك نفسه يعتمد على الاسترخاء .

كان الرجل يبدو ودودًا ظريفًا ، ولقد ذكَّر أسلوبه (قدرى) بدعابات (أدهم) ، مما جعله يعتدل قائلًا فى مرح :

ـــ هذا صحيح ، فيمكنك أن تقول إننى فنّان ، يعتمد عملى كله على رأسى وأصابعى فحسب .

أومأ الرجل برأسه فى اهتمام ، ثم مدّ يده إلى (قدرى) مصافحًا ، وهو يقول :

ـــ تسعدنى دائمًا مقابلة الفنّانين ياصديقى .. أنا (فرانك جوردان) ، رجل أعمال من (فلوريدا) بالولايات المتحدة الأمريكية ، والأصدقاء ينادوننى (فرانكى) .

صافحه (قدرى) فى وُدّ ، وهو يقول :

ـــ وأنا (قدرى) .. فنّان من مصر .

جلس (فرانك) على المقعد المجاور لـ (قدرى) ، دون أن يدعوه الأخير لذلك ، وقال فى اهتمام :

ـــ إذن فأنت مصرىّ !!.. كم أتمنّى زيارة مصر ، ورؤية الأهرامات .

ثم مال نحو (قدرى) مستطردًا فى اهتمام زائد :

ـــ ما رأيك أن أدعوك للغذاء فى ڤيلتى هنا ، لنتحدّث قليلًا عن مصر ؟

ضحك (قدرى) ، وهو يقول :

ـــ لن أتردّد فى قبول دعوتك يا مستر (فرانك) ، لو أنك تتناول الأطعمة الدسمة .

هتف (فرانك) فى حماس :

ـــ إننى أعشقها ..

ثم نهض من مقعده مستطردًا :

ـــ هيّا بنا .. أنا واثق من أننا سنصبح صديقين بعد أول وجبة مشتركة .

ونهض (قدرى) فى بساطة ، دون أن يلمح تلك النظرة الظافرة الخبيثة ، التى تألّقت فى عينى (فرانك جوردان) ..

* * *

وقف (قدرى) يتأمّل ڤيلا (فرانك) فى انبهار ، وهو يقول :

ـــ يا إلٰهى !!.. لابدّ أن هذا قد كلّفك ثروة طائلة يا مستر (فرانك) .

ابتسم (فرانك) ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ بالطبع ياصديقى .. لقد كلّفتنى هذه الڤيلا ما يربو على مليونى دولار .

أطلق (قدرى) من بين شفتيه صفير دهشة ، ثم أشار إلى قوس أنيق ، وجعبة تمتلئ بالنُّشّاب ، وقال :

ـــ هل تهوَى هذه الرياضة ؟

ألقى (فرانك) نظرة سريعة على القوس والنُّشّاب ، ثم غمغم فى هدوء :

ـــ إننى أفوق (روبن هود) فى هذا المجال يا صديقى(*) .

ثم التقط القوس ، ووضع فيه أحد الأسهم ، وأشار إلى نتيجة الحائط الصغيرة ، وهو يقول :

ـــ انظر إلى يوم السادس من يوليو .

(*) (روبن هود) : شخصيّة حار الجميع فى إصدار حكم نهائى بشأنها ، فهناك من يجزم بوجوده فى القرن الرابع عشر فى (إنجلترا) ، وهناك من يؤكد أنه مجرد شخصية أسطورية ، ويقال إنه كان أبرع أهل الأرض فى استخدام القوس والنُّشّاب ، ولقد خلّده الروائى (سير والتر سكوت) فى رواية تحمل نفس الاسم .

وبسرعة أطلق سهمه ، ورآه (قدرى) ينغرس فى نفس النقطة التى حدَّدها (فرانك) مسبقًا ، والتى لا تتجاوز السنتيمتر المربع ، فهتف فى إعجاب :

ــ يا إلهى !!.. إنك تذكِّرنى بـ .. بصديق لى .

ابتسم (فرانك) فى فخر ، وقال :

ــ هل صدَّقت الآن أننى أفوق (روبن هود) ؟

قبل أن يفتح (قدرى) شفتيه ، انبعث صوت أنثوى من خلفه يقول :

ــ ما من شك فى هذا يا (فرانك) .

عقد (قدرى) حاجبيه فى دهشة ، وغمغم وهو يلتفت إلى مصدر الصوت فى حدَّة :

ــ (منى) ؟!

ولكن عينيه ازدادتا اتساعًا ، حينما وقع بصره على فتاة حسناء ، لها شعر أشقر جميل ، وعينان زرقاوان بلون البحر ، فتأمَّلها لحظة فى دهشة ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى خبث ، والتفت إلى (فرانك) قائلًا :

ــ حسنًا يا عزيزى (أدهم) .. لقد انتهت اللُّعبة .

عقد (فرانك) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لُعبة ؟!.. أيَّة لُعبة ؟!

ضحك (قدرى) ، وهو يقول :

ــ لا تواصل خداعى .. لقد كشفك صوت (منى) .. قد يمكنك تبديل ملامحها ، ولكنها لا تمتلك مثل حنجرتك المرنة ، وأنا لا أخطئ تمييز صوتها أبدًا أو ...

وفجأة .. احتبست الكلمات فى حلق (قدرى) ، وجفَّ لعابه من فرط انفعاله ، حينما سمع صوتًا ساخرًا يقول :

ــ أشكرك أيها البدين ، لقد أكَّدت لى حسن اختيارى .

التفت (قدرى) فى حدَّة إلى مصدر الصوت ، ولم يكد يطالع وجه صاحبة الصوت ، حتى تراجع فى حركة حادَّة ، جعلته يرتطم بمنضدة صغيرة ، ويسقط بجسده البدين على ظهره ، فى حين أشعلت صاحبة الصوت سيجارة رفيعة فى حركة متغطرسة ، ونفثت دُخانها فى الهواء ، وهى تقول فى سخرية :

ــ أعتقد أننا لن نحتاج للتعارف أيها البدين ، فلا شك أنك تعرف من أنا .. لاريب أنك لن تخطئ أبدًا معرفة (سونيا جراهام) .

* * *

٣ ــ المبادلة الرهيبة ..

اتسعت عينا (منى) فى مزيج من الدهشة والفرح ، وهى تفتح باب منزلها ، وتحدِّق فى وجه الزائر الوسيم ، قبل أن تهتف فى سعادة :

ــ (أدهم) ؟!.. مرحبًا بك .

ابتسم (أدهم صبرى) ، وهو يقول فى هدوء وبصوت شاحب :

ــ هل أتيت فى وقت غير مناسب ؟

هتفت فى حماس ، وهى تقوده إلى حجرة الجلوس فى منزلها :

ــ بالنسبة لك كل الأوقات مناسبة يا (أدهم) ، إن زيارتك لى تسعدنى دومًا .

بدت ابتسامته باهتة ، وهو يغمغم :

ــ إنها ليست زيارة بالمعنى المفهوم يا (منى) .

تلاشت ابتسامتها الفرحة ، وهى تسأله فى قلق :

ــ أهى مهمة جديدة ؟

مطَّ شفتيه وهو يقول :

ــ بل مشكلة جديدة .

هتفت فى توتُّر :

ــ ماذا حدث ؟

جلس فى هدوء وهو يناولها مظروفًا أزرق اللون ، ويقول :

ــ لقد وصل هذا بالبريد السريع إلى منزلى منذ ساعة واحدة .

تناولت (منى) المظروف فى اهتمام ، وفضَّته لتلتقط منه خطابًا صغيرًا ، ومجموعة من الصور الفوتوجرافية ، لم تكد تنظر إليها حتى أطلقت من أعماق صدرها شهقة قويَّة ، وهتفت فى انفعال :

ــ يا إلهى !!.. (قدرى) ؟!

كانت الصور الفوتوجرافية تمثِّل (قدرى) مقيَّدًا ، مُكَمَّمًا ، ومُلْقًى داخل مكان غريب ، يبدو كأنه قبو منزل قديم ، وكان الخوف والتوتُّر يبدوان واضحين فى ملامحه ، فهتفت (منى) مستطردة :

ــ من فعل به ذلك ؟

أشار (أدهم) بيده إشارة مبهمة ، وهو يقول :

ــ اقرئى الخطاب يا (منى) .

نقَّلت (منى) عينيها فى توتُّر إلى كلمات الخطاب ، وأخذت تقرؤها فى انفعال ..

كانت كلمات الخطاب القصير تقول :

ــ « عزيزى الشيطان المصرى المعروف باسم (أدهم صبرى) ..

لقد نجحت فى اقتناص صديقك البدين فى (هاواى) ، وها هى ذى صُوَرُه بين يديك ، تؤكِّد لك أننى لا أمزح أو أناور .. وأصارحك القول إننى لا أنوى إعدامه فورًا ، فربما رَاقَ لك أن تفتديه .. وأنا أعرض عليك المبادلة .. حياتك مقابل حياته .. ولن أنتظر طويلًا .. » (سونيا جراهام) .

صاحت (منى) فى انفعال :

ــ (سونيا جراهام) ؟!.. ولكنها تركت العمل فى (الموساد) منذ هزيمتها الأخيرة فى (اليونان) !(*).

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ أنت لا تعرفين (سونيا جراهام) مثلما أعرفها يا (منى) .. إن الكراهية التى تكنُّها لى ليست وليدة انتمائنا لجهازَىْ مخابرات متصارعَيْن ، ولكنها نشأت مع مرور الوقت من هزائمها المتتالية أمامى ، كلما التقينا فى عملية من عمليات المخابرات .. و(سونيا) شخصية مغرورة متغطرسة ، تكره أن

(*) راجع قصة (مهمة خاصة) .. المغامرة رقم (٥٠) .

تُمنَى بهزيمة واحدة ، وهى الآن تحاول الانتقام من شخصى ، بعد أن تسبَّبت فى فصلها من (الموساد) .

سألته (منى) فى قلق :

ــ وماذا تنوى أن تفعل ؟

هزَّ كتفيه وهو يقول فى هدوء :

ــ إننى أحتفظ بذلك الخطاب الذى يمنحنا صفة دبلوماسية ، والذى يخوِّل لنا الحصول على تأشيرات السفر من أيَّة سفارة أجنبية فورًا ، كما أحتفظ بجوازَىْ سفر دبلوماسيَّيْن لى ولك ، ولقد ذهبت فور وصول الخطاب إلى سفارة الولايات المتحدة الأمريكية ، وحصلت بموجب الخطاب على تأشيرتَىْ دخول ، و ......

قاطعته (منى) فى توتُّر :

ــ ولكن ينبغى أن نُبلِّغ الإدارة أوَّلًا ، فالأمر أخطر من ....

قاطعها (أدهم) هذه المرَّة فى حزم :

ــ سيستغرق هذا بعض الوقت لدراسة الأمر ، وبحثه ، ولا ريب أن (سونيا) تتوقَّع ذلك ؛ لذا فسأفاجئها بسفرنا إليها على أول طائرة .

هتفت (منى) :

ــ وماذا تنوى أن تفعل هناك ؟

مطَّ شفتيه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ الطائرة ستقلع بعد ساعتين يا (منى) ، فدعينا لا نضيع الوقت فى مناقشة هذه الأمور الآن .

هتفت فى توتُّر :

ــ أخبرنى أوَّلًا .. ماذا تنوى أن تفعل مع (سونيا جراهام) ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ــ إننى لن أتخلَّى عن (قدرى) يا (منى) .. إنه صديق عمرى .

ثم شبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وهو يستطرد فى هدوء مخيف :

ــ سأمنح (سونيا) ما تطلبه .. سأقبل هذه المبادلة الرهيبة ، سأدفع حياتى ثمنًا لخلاص (قدرى) .

واتسعت عينا (منى) فى ذُعر ..

* * *

٤ ــ التحدِّى ..

شدَّ (فرانك) وتر قَوْسه فى براعة ، وضاقت عيناه وهو يسدِّد سهمه إلى ذلك الهدف المستدير ، المكوَّن من عدة حلقات بيضاء وسوداء ، وبدا مظهره رائعًا فى زيِّه الرياضىِّ الأنيق ، قبل أن يطلق سهمه ، الذى استقرَّ فى مركز الهدف تمامًا ، فابتسم فى فخر وإعجاب ، والتفت إلى (سونيا) التى بدت باهرة الحسن ، كأنما هى واحدة من أميرات الأساطير ، وقال فى غرور واضح :

ــ ما رأيك يا أميرتى الحسناء ؟

غمغمت فى ضجر ، وهى تجبر شفتيها الجميلتين على الابتسام :

ــ رائع يا (فرانك) .. إنك تتفوَّق على نفسك فى كل مرَّة .

وضع (فرانك) قَوْسه على مقعد مخملى فى عناية ، ثم التقط زجاجة خمر ، صبَّ بعضًا منها فى كأسين ، وناول إحداهما إلى (سونيا) ، وهو يجلس إلى جوارها قائلًا :



شدَّ (فرانك) وتر قوْسه فى براعة ، وضاقت عيناه
وهو يسدِّد سهمه إلى ذلك الهدف المستدير ..

ــ هل تظنين أن غريمك (أدهم صبرى) هذا سيقبل المبادلة ؟

التقطت كأس الخمر ، وجرعتها دفعة واحدة ، مما جعل الدماء تتصاعد إلى وجهها ، لتخفى انفعالها وهى تقول :

ــ (أدهم صبرى) لايمكنه أن يستسلم بسهولة يا (فرانك) ، فهو صلب شديد العناد ، ولكنه فى الوقت نفسه ذكىٌّ كالثعلب ، وسيحاول الفوز بصديقه البدين دون أن يخسر حياته ، ولكن شهامته ستجعله يفعل ذلك فى حذر ، حتى لا يعرِّض حياة صديقه للخطر .. ومهمتى هى أن أجعل ذلك مستحيلًا ، بحيث لا يجد (أدهم صبرى) أمامه سوى الاستسلام .

ابتسم (فرانك) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ إن كراهيتك الشديدة لهذا الرجل تبدو كأنها تعود إلى عامل شخصىّ يا أميرتى .

غمغمت (سونيا) فى سخط :

ــ إنك لم تتجاوز الحقيقة كثيرًا يا (فرانك) .

ثم أردفت فى لهجة تفيض بالكراهية والبغض :

ــ منذ تركت العمل بـ (الموساد) ، لم يعد لحياتى إلّا هدف واحد ..

وبعث صوتها قشعريرة باردة فى جسد (فرانك) ، حينما استطردت فى غضب :

ــ قتل (أدهم صبرى) ..

* * *

غمغمت (منى) فى مزيج من السخط والتوتُّر ، وهى تهبط إلى جوار (أدهم) ، من الطائرة التى وصلت توًّا إلى (هاواى) :

ــ ما زلت أصرّ على أن وصولك إلى هنا دون أى تنكُّر يعدّ انتحارًا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يجيبها فى هدوء :

ــ لا يقلقنَّك هذا يا عزيزتى .. لقد أحضرت معى حقيبة أدوات التنكر .

هتفت فى حَنَق :

ــ وما فائدة ذلك ؟!.. هل تظن أن (سونيا جراهام) ستمنحك ما يكفى من الوقت لتبديل ملامحك ؟.. إنها ستبادر بمهاجمتك فور كشفها لوصولك .

هزَّ كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هذا ما أسعى إليه بالضبط يا عزيزتى ، فنحن لا نعلم أين تحتفظ (سونيا) بـ (قدرى) ، ولا متى أو كيف

ستهاجمنا ، حتى خطابها لم يتضمَّن موعدًا أو مكانًا للقاء ، وهذا يَعْنى أن أحد رجالها يراقبنا فى هذه اللحظة ، وسيبلغها حتمًا بوصولنا ، وهى لن تتردَّد طويلًا قبل أن تهاجمنا .

ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يردف :

ــ ولست أحب أن أطيل انتظارها بإبدال ملامحى .

غمغمت (منى) فى توتُّر :

ــ ولكنك هكذا تتحدَّاها بوجه سافر .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى هدوء :

ــ هذا صحيح يا عزيزتى ، إننى أتحدَّى (سونيا جراهام) بأوراق مكشوفة ، والله (سبحانه وتعالى) وحْدَهُ يعلم لمن سيكون النصر فى النهاية .

* * *

اجتاحت موجة هائلة من الانفعال (سونيا جراهام) ، وهى تقبض على سَمَّاعة الهاتف فى قوة ، وتهتف :

ــ لقد وصل .. هذا المغرور المتغطرس جاء لملاقاة (سونيا جراهام) بوجه عارٍ .. سيندم .. أُقسم بشياطين الجحيم أنه سيندم .

أمسك (فرانك) ذراعها فى قوَّة ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ رُوَيْدك يا أميرتى .. سيقتلك الانفعال قبل أن تمسّى شعرة منه .

ألقت سمّاعة الهاتف فى قوّة ، وهى تقول :

ـــ إننى أكرهه يا (فرانك) !! أكرهه !!

ابتسم (فرانك) وهو يشعل سيجاره الفاخر ، وقال وهو ينفث دُخانه فى الهواء فى بطء وهدوء :

ـــ اطمئنى يا عزيزتى الفاتنة (سونيا) .. سيلقى غريمك مصرعه فور خروجه من مطار (هاواى) .

اتسعت عينا (سونيا) فى ذهول ، وهى تصرخ فى غضب :

ـــ ماذا ؟!.. مَنْ أمر بذلك ؟

لوّح بذراعه فى حركة مسرحية متعاظمة ، وهو يقول :

ـــ إنك تقلّلين من شأنى يا فاتنتى .. هل نسيت أننى أتزعّم أكبر شبكة لترويج المخدرات فى الولايات المتحدة ؟.. لقد قرّرت أن أقدّم لك رأس غريمك هديّة ، على طبق من ذهب ؛ لذا فقد أمرت رجالى بـ ...

قاطعته (سونيا) بصرخة هادرة :

ـــ أيُّها الغبىّ .

امتزج الغضب والدهشة فى عينى (فرانك) ، وشابهما الاستنكار وهو يهتف :

ـــ ماذا تقولين يا (سونيا) ؟.. كيف جرؤت على ... ؟

قاطعته مرّة أخرى ، وهى تصرخ فى ثورة :

ـــ مَنْ طلب منك أن تفعل ذلك ؟.. من ذا الذى سألك هدية لعينة كهذه ؟.. إن (أدهم صبرى) لى .. لى وحدى .. ولن تسفر محاولتك إلّا عن تنبيه قبل الأوان .

عقد (فرانك) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى حدّة :

ـــ لن يجد الوقت الكافى ليتنبه إلى شىء يا (سونيا) ، إن (مارك) و (ساندى) ينتظرانه أمام المطار ، ولديهما أوامر بتحويل رأسه إلى كُومَة من النُّفايات ، فور رؤيتهما له .

أطلقت (سونيا) ضحكة ساخرة تموج بالمرارة ، ولوّحت بذراعيها صائحة فى حَنَق :

ـــ كُومَة نُفايات ؟!.. يالك من أرعَن ساذج !!.. من الواضح أنك لا تعرف من هو (أدهم صبرى) ، ولكنك مادمت تتحدّث عن النُّفايات ، فلتسرع بإحضار صندوق القُمامة ، وملقط صغير لتجمع به بقايا رَجُلَيْك ، ما داما سيحاولان قتل (أدهم صبرى) .

وعادت تصرخ فى ثورة :

ـــ أيها الغبىّ .. لقد جعلتنا نخسر الجَوْلة الأولى .

* * *

أدار (مارك) محرّك سيارته ، وأرخى صمام الأمان فى مسدّسه الضخم ، وهو يتطلّع إلى بوّابة المطار قائلًا فى سخرية :

ـــ ها هو ذا الصيد يا عزيزى (ساندى) .. استعد بمدفعك الرشاش ، فالزعيم يريد منّا أن نفجّر رأسه ، بحيث يعجز أعظم الأطباء الشرعيين عن تعرُّفه من الفتات الذى سيتبقّى منه .

ابتسم (ساندى) فى شراسة ، وهو يقول :

ـــ هَلُمَّ ياصديقى .. إننى أتحرّق شوقًا لمداعبة زناد مِدْفَعى الرَّشاش .

انطلق (مارك) بسيارته نحو (أدهم) و (منى) ، وهو يغمغم فى سخرية :

ـــ يا لها من مهمة تقليدية سخيفة !!

أطلق (ساندى) ضحكة وحشيّة ساخرة ، وصوّب فُوّهة مِدْفَعِه نحو (أدهم) و (منى) ، وهو يهتف :

ـــ سأفعلها على نفس النحو الذى فجّرنا به رأس مفتش شرطة (فلوريدا) ياصديقى .. سأنجز المهمة فى ثانية واحدة ..

وارتفع صوت طلقات مِدْفَعِه الرشّاش فى مِنطقة المطار كلها ..

* * *



٥ ــ العـــاصفة ..

يجزم كل من أسعدهم الحظ بالتعامل مع (أدهم) من زملائه ، وكل من ذاق الهزيمة على يديه من أعدائه وخصومه ، أن عامل المفاجأة مع (أدهم صبرى) يساوى صفرًا .. فهو يتميَّز بسرعة استجابة مذهلة ، طالما أثارت حَيْرة ودهشة وإعجاب مدرِّبيه ، فى أثناء عمله فى قوّات الصاعقة المصريَّة ، أو عند انضمامه إلى جهاز المخابرات العامة ، حتى أن أحدهم قال عنه : « إن (أدهم صبرى) يبدو كأنه يتحرَّك فى بعد زمنى مخالف لنا ، فالحدث الذى يستغرق من الإنسان المتفوِّق دقيقة كاملة لدراسته واستيعابه ، واتخاذ القرار بشأنه ، ثم تنفيذه ، لا يستغرق من (أدهم صبرى) سوى ثانية واحدة ، فهو يستوعب الموقف ، ويتخذ القرار ، وينفِّذه ، قبل أن يدرك خصمه ماحدث ، حتى يبدو وكأنه عاصفة قاسية ، اجتاحت فجأة مركبًا ساكنًا ، فى يوم هادئ صحو » ..

ولقد كان هذا ما حدث ..

لقد كان (أدهم) يلوِّح لإحدى سيارات الأجرة ، حينما لمح بطرف عينيه ماسورة مِدفع (ساندى) الرَّشاش ، وهى

تخرج من نافذة سيارته ، فتحرَّك فى سرعة مذهلة ، ودفع (منى) جانبًا ، وغاص إلى أسفل متفاديًا الرصاصات القاتلة ، وتجاهل الرعب والذهول والهرج والمرج ، وانطلق فجأة كالعاصفة نحو السيارة ..

وقبل أن يدرك (مارك) و (ساندى) ما يحدث ، كان (أدهم) قد قفز فوق مقدِّمة السيارة فى رشاقة مذهلة ، وقفز ليخترق زجاجها الأمامى كالقنبلة ، ويسقط فوق (ساندى) ..

اختلَّ توازن عجلة القيادة فى يد (مارك) ، حينما رأى (أدهم) يقبض على معصم (ساندى) بقبضة فولاذية ، ليرفع فوَّهة مدفعه الرشاش إلى أعلى ، ثم يهوى على فكِّه بلكمة صاعقة ، جحظت لها عينا (ساندى) ، وسالت لها الدماء من أنفه الذى تحوَّل إلى خليط من اللحم المَفْرِىّ والعظام المهشَّمة ، قبل أن يسقط رأسه إلى الخلف ، ويغيب عن الوعى ..

وفى سرعة كبيرة تغلَّبَ (مارك) على ذُعره وذهوله ، وانتزع مسدَّسه الضخم ، وصوَّبه إلى رأس (أدهم) وهو يصرُخ :

ــ أيها الشيطان !!.. سوف .....

كاد (أدهم) يطلق قبضته فى فكِّه ، ولكن رصاصة اخترقت زجاج السيارة الخلفى ، وأصابت مسدَّس (مارك) إصابة محكمة ، وجعلته يطير عَبْرَ الزجاج الأمامى المحطَّم ، فاتسعت عينا المجرم فى ذهول ، وهتف :

ــ هذا مست ...

وأجبرته قبضة (أدهم) على ابتلاع باقى الكلمة ، مع اثنتين من أسنانه ، حينما هوَت فوق فكِّه كالقنبلة ، فأطلق شهقة قويَّة ، ولحق بزميله (ساندى) فى عالم اللاوعى ، فى حين أسرع (أدهم) يضغط كمَّاحة السيارة ، التى توقَّفت بصرير مزعج ، ثم استدار إلى حيث تقف زميلته (منى) ، وفى يدها مسدَّس صغير يتصاعد من فوَّهته عمود من الدُّخان ، وابتسم وهو يشير إليها بإبهامه المفرود وقبضته المضمومة ، فلوَّحت له بمسدَّسها الصغير ، وأرادت أن تعيده إلى حقيبتها ، ولكنها فوجئت بيد قوية توضع على كتفها ، وسمعت صوتًا صارمًا ، يقول بالأمريكية :

ــ ليس بعد ياسيِّدتى .. إن مسدَّسك الصغير هذا يثير اهتمامنا جدًّا .



فلوَّحت له بمسدَّسها الصغير ، وأرادت أن تعيده إلى حقيبتها ،
ولكنها فوجئت بيد قوية توضع على كتفها ..

وزفرت فى ضيق ، حينما لمحت خلف هذا الصوت زِيًّا رسميًّا من أزياء رجال شرطة (هاواى) .

* * *

صاحت (سونيا جراهام) ، وهى تلقى سمَّاعة الهاتف فى غضب :

ـــ هل رأيت كم كنت غبيًّا بمبادرتك الحمقاء هذه يا (فرانك) ؟.. لقد حطَّم (أدهم صبرى) رجليك فى بساطة ، ولولا أن ألقى رجال الشرطة القبض عليه وزميلته لاستجوابهما ، لحوَّلهما إلى كُومَة نُفايات .

احتقن وجه (فرانك) غضبًا ، وقال فى حَنَق :

ـــ يبدو أننى لم أقدِّر هذا الشيطان حقَّ قَدْره .

هتفت (سونيا) :

ـــ كان ينبغى أن تستشيرنى قبل أن تُقْدِم على هذه الخطوة الحمقاء .

صاح (فرانك) فى غضب :

ـــ إننى لم أعتد استشارة مخلوق فى قراراتى يا (سونيا) ، وكَوْنِى وافقت على معاونتك فى القضاء على هذا الشيطان ،

لا يعنى أن تضعى نفسك فى مرتبة أعلى .. وعليك منذ هذه اللحظة مخاطبتى بأسلوب لائق ، وإلَّا نبذت جمالك الفتَّان هذا كما نبذتك دولتك .

ارتاعت (سونيا) حينما شعرت أنها ستفقد فرصتها للانتقام من (أدهم) ، فلان صوتها ، وهى تقول :

ـــ اغفر لى ثورتى يا عزيزى (فرانك) .. إننى لم أنسَ أبدًا أنك الزعيم ، ولكن كراهيتى لذلك الشيطان أفقدتنى صوابى .

ابتسم (فرانك) فى غرور ، وقال :

ـــ لا عليك .. إننى أقدِّر ذلك .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يسألها فى اهتمام :

ـــ هل قلت إن رجال الشرطة قد ألقوا القبض على شيطانك وزميلته ؟

أومأت (سونيا) برأسها إيجابًا فى دلال ، فابتسم فى دهاء ، وهو يقول :

ـــ هذا رائع .. لقد منحنا ذلك الشيطان فرصة التخلُّص منه .

والتقط سمَّاعة الهاتف ، وهو يقول فى ثقة ساخرة :

ـــ يمكنك وبكل ثقة إضافة كلمة (سابقًا) إلى اسم شيطانك المصرى هذا ..

وأطلق ضحكة شيطانية ساخرة ، أثارت حَنَق (سونيا) وغيظها ..

* * *

وقف مفتش الشرطة (مانى) يتأمَّل (أدهم) و (منى) لحظة ، ثم التقط مسدَّس (منى) الصغير ، وقلَّبه بين يديه ، قبل أن يقول فى حِدَّة :

ـــ أعلم أن شهود الحادث كلهم قد أجمعوا على أنكما كنتما تدافعان عن نفسيكما ، وأن الرجلين اللذين ألقينا القبض عليهما حاولا قتلكما باستخدام ذلك المدفع الرشاش ، ولكن هذا لا يفسِّر مهارتك المذهلة يا مستر (أدهم) ، ولا ذلك المسدَّس المصنوع بأكمله من البلاستيك ، بحيث لا تكشفه أجهزة الفحص فى المطارات ، والذى أطلقت منه النار يا مس (منى) .

ابتسمت (منى) فى برود ، وهى تقول :

ـــ لست أدرى من أين جاء هذا المسدَّس الطريف يا سيِّدى المفتش ، فقد وجدته فجأة تحت قدمىَّ .

زفر المفتش فى ضيق ، وقال :

ـــ وهل أطلق نفسه أيضًا فى مهارة ، ليصيب مسدَّس الرجل إصابة مُحكمة ، ومنح رفيقك تلك المهارة المذهلة ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول .

ـــ هل يعاقب القانون فى (هاواى) على اللياقة البدنية ؟

احتقن وجه المفتش (مانى) ، وهو يقول فى غضب :

ـــ اسمع يا مستر (أدهم) .. من العبث أن تحاول تقليد أبطال الأفلام الأمريكية ، وإلَّا جاءت العاقبة وخيمة .

كاد (أدهم) يلقى إليه بعبارة ساخرة أخرى ، لولا أن ارتفع رنين الهاتف فى تلك اللحظة ، فاختطف (مانى) سمَّاعته ، وقال فى حِدَّة :

ـــ من المتحدِّث ؟

شحب وجهه فجأة ، وارتبك صوته ، وهو يقول بعد وهلة من الصمت :

ـــ إنه أنا يا مستر (فرانك) .. نعم .. إنهما هنا فى مكتبى .

وعاد يستمع إلى محدِّثه فى اهتمام ، وهو يتطلَّع إلى (أدهم) و (منى) بنظرة غامضة ، قبل أن يغمغم فى خفوت :

— حسنا يا مستر (فرانك) .. سأفعل .
ثم وضع سماعة الهاتف ، والتفت إلى (أدهم) و (منى) ، وقال فى بطء :
— إنهما يريدونكما فى إدارة شئون الأجانب يا مستر (أدهم) ، ويا مس (منى) .
مال (أدهم) إلى الأمام ، وسأله فى صرامة :
— قل لى أيها المفتش .. ماذا كنتم ستفعلون بنا لو أننا نحن من أطلق النار ؟
تجاهل المفتش سؤال (أدهم) ، والتقط من درج مكتبه زوجين من الأغلال ، لوّح بهما أمام وجهه ، وهو يقول فى برود :
— ربّما كان القانون هنا سخيفًا يا مستر (أدهم) ، ولكننا نحترمه ، وأنا مضطر لوضع الأغلال فى معصميكما حتى نصل إلى إدارة شئون الأجانب .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :
— إننى أختلف معك أيها المفتش ، فقانونكم ليس سخيفًا .. إنه مقزّز .
هزّ المفتش كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول فى هدوء :

— ولكنه القانون يا مستر (أدهم) .
لم يقاوم (أدهم) ، ولم تقاوم (منى) والمفتش يحيط معصميهما بالأغلال ، ولكن (أدهم) حدجه بنظرة باردة صارمة بعد أن انتهى ، وقال له فى لهجة تقطر بالحزم والغضب :
— ستدفع ثمن ذلك غاليًا أيها المفتش .
ابتسم المفتش فى سخرية ، وهو يقول فى برود :
— لاتتعجّل الأحداث يا مستر (صبرى) .. هناك بالتأكيد من سيدفع ثمن حماقاته هذه الليلة .. لا تتعجّل ..

* * *

انطلقت سيارة الشرطة يقودها شرطى مفتول العضلات ، ترتسم على شفتيه ابتسامة ساخرة مقيتة ، وإلى جواره جلس المفتش (مانى) ، مصوّبًا مسدّسه إلى (أدهم) و (منى) ، اللذين يجلسان فى المقعد الخلفى ، ومضت بضع دقائق والسيارة تنطلق وسط ممرّات جبلية مظلمة ، قبل أن يقول (أدهم) فى سخرية :
— هل تضعون إدارة شئون الأجانب فى قلب الجبل ؟
ضاقت عينا المفتش (مانى) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يغمغم :

— هذا أفضل موقع وجدناه يا مستر (أدهم) .
ثم أشار إلى الشرطى الذى يقود السيارة ، قائلا :
— توقّف هنا يا (جان) ، فلقد امتلأ قلب السيّد بالملل .
أوقف (جان) السيارة وهو يبتسم فى سخرية وشماتة ، وسدّد (مانى) مسدّسه إلى رأس (أدهم) ، وهو يقول :
— هيّا أيها السيّدان ، سنغادر السيارة كالأطفال الطيبين .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :
— هل وصلنا إلى إدارة شئون الأجانب أيها الوغد ؟
صاح المفتش فى صرامة :
— غادرا السيارة .
غادر (أدهم) و (منى) السيارة فى هدوء ، وتبعهما المفتش (مانى) ، وهو يصوّب إليهما مسدّسه ، ثم هبط (جان) وهو يحتفظ بابتسامته الساخرة الشامتة ، وأخرج مسدّسه ، واشترك مع رئيسه فى تصويبه إلى رأسى (أدهم) و (منى) ، فى حين قال المفتش فى سخريّة :
— هنا تنتهى الرحلة أيها السيّدان .. سنقتلكما كما أمر السيّد (فرانك جوردان) .
إننا هنا نحب تنفيذ أوامره ، وتحقيق رغباته ، ما دام يدفع الثمن و ...

ولم تكتمل عبارة المفتش (مانى) ، فعلى الرغم من الأغلال التى تطوّق معصميه ، تحوّل (أدهم صبرى) فجأة إلى عاصفة ..
عاصفة لا ترحم الأعداء ..

* * *



٦ ـ أول الخيط ..

كان المفتش (مانى) والشرطى (چان) مطمئنين تمامًا إلى أن أسيريهما لن يستطيعا مقاومتهما أبدًا ، فهما وحدهما يحملان الأسلحة ، وهما وحدهما مطلقا السراح ، لا تقيّد الأغلال الحديدية معصميهما ، فلم يدُر بخلدهما مطلقًا أن عدم التكافؤ فى هذا الأمر يعود فقط إلى أنهما يواجهان (أدهم) و (منى) وحدهما ..

ففى لمح البصر ، وقبل أن يدرك أحدهما ما يحدث ، انقضّ (أدهم) على (مانى) كالصاعقة ، وضمّ قبضتيه ليهوى بهما على فكّ هذا الأخير كالقنبلة ، ثم يركل مسدّسه بقدمه فى الثانية ذاتها ..

وتراجع (چان) فى ذهول ، وهو يصوّب مسدّسه إلى رأس (أدهم) ، ورأى مسدّس رئيسه يطير فى الهواء إثر ركلة (أدهم) ، ورأى ـ وهو يشهق فى دهشة ـ (منى) وهى تقفز فى رشاقة ، وتلتقط المسدّس بكفّيها المضمومتين ، ثم تهبط على قدميها ، وتطلق النار ..

وطار مسدّس (چان) بعد أن أصابته رصاصة (منى) ،



انقضّ (أدهم) على (مانى) كالصاعقة ، وضم قبضتيه ليهوى بهما على فكّ هذا الأخير كالقنبلة ، ثم يركل مسدّسه بقدمه فى الثانية ذاتها

وتراجع هو فى مزيج من الذهول والذعر ، واتسعت عيناه لحظة قبل أن يجذبه (أدهم) من سترته الرسمية فى قسوة وخشونة ، وهو يقول فى لهجة صارمة ، جمّدت الدم فى عروق (چان) :

ـ من هو (فرانك جوردان) هذا الذى أمركما بقتلنا ؟

كان (چان) يأمل أن يحتفظ بالسرّ ، وألّا يبوح به أبدًا ، ولكن ذهنه استعاد فى جزء من الثانية مشهد انقضاضة (أدهم) ، وقبضته التى حطّمت فكّ رئيسه ، ومشهد (منى) التى قفزت والتقطت المسدّس ، وأطلقته عليه فى مهارة وإحكام ، ونقّل بصره فى ذُعر بين (مانى) الفاقد الوعى ، الغارق فى دمائه ، وفوّهة مسدّس (منى) المصوّب نحوه ، ثم هتف فى لهجة هى الضراعة بعينها :

ـ مستر (فرانك جوردان) هو أقوى رجل فى (هاواى) كلها ... لا أحد هنا يجهله .

حدّق (أدهم) فى وجهه لحظة فى صرامة ، ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ حسنًا أيها الوغد .. ما دام كل إنسان فى (هاواى) يعلم من هو (فرانك جوردان) فلا حاجة بنا إليك .

وكال له لكمة قويّة ألحقته بزميله فى غيبوبته العميقة ، فهتفت (منى) :

ـ مفاتيح الأغلال .. ابحث فى جيوبه عن مفاتيح الأغلال .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وعالج أغلاله فى سرعة ومهارة ، ثم لم يلبث أن انتزعها من حول معصميه ، وألقى بها خلف ظهره وهو يقول :

ـ لا داعى ياعزيزتى ، هاهى ذى الأغلال .

ابتسمت (منى) فى إعجاب ، وهى تقول فى هدوء :

ـ لا فائدة يا (أدهم) .. إنك تصرّ فى كل مرّة على إثارة دهشتى ببراعة من نوع جديد .

بادلها (أدهم) الابتسام ، وقال فى لهجة مداعبة :

ـ بل أنتِ التى أثرت دهشتى يا عزيزتى (منى) .. لقد ازدادت خبرتك كثيرًا فى الآونة الأخيرة .

ابتسمت فى خجل ، وهى تغمغم :

ـ تلميذتك يا (رجل المستحيل) .

عالج (أدهم) أغلالها فى مهارة ، حتى انتزعها من حول معصميها ، ثم قال فى هدوء ينذر بالخطر :

ـ والآن هيًّا بنا يا (منى) ، فما دمنا قد قاتلنا شرطة (هاواى) على هذا النحو السافر ، فلم يعُد أمامنا إلّا الإسراع

باقتحام وكر (سونيا جراهام) ، وصديقها (فرانك جوردان) ، قبل أن نخسر كل شىء .

ثم أردف فى توتُّر واضح :

ـــ وقبل أن نخسر عزيزنا (قدرى) .

* * *

تحرَّك (فرانك) فى عصبية واضحة حول المنضدة التى تحمل هاتفه الخاص، وظَلَّ يرمقه بنظرات غاضبة وهو يدور حوله ، وكأنما يعلن بنظراته استياءه من صمت الهاتف الطويل ثم لم يلبث أن اختطف قَوْسَه ، ورشق فيه واحدًا من أسهمه ، وجذب الوتر فى حِدَّة ، وأطلق سهمه ليستقر فى مركز الهدف الدائرى تمامًا ، ثم ألقى القَوْس فى غضب ، وهو يهتف ساخطًا :

ـــ ماذا أصاب (مانى) اللعين ؟.. لقد أمرته أن يتَّصل بى فور انتهائه من قتل ذلك المصرى وزميلته ، ولا أظن هذا يستغرق كل ذلك الوقت .

نفثت (سونيا) دُخانَ سيجارتها فى هدوء ، وفردت كفَّها أمام عينيها تتأمل أظفارها المطلية فى عناية ، بلون قرمزى داكن ، قبل أن تقول فى برود :

ـــ لا أظنه يستطيع ياعزيزى (فرانك) ، فلا ريب أنه يرقد الآن بأنف مهشم ، وأسنان مكسورة ، فى نفس المكان الذى طلبت منه التخلُّص من (أدهم صبرى) فيه .

التفت إليها (فرانك) فى غضب ، وعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يهتف محتقًا :

ـــ فى أى جانب أنت يا (سونيا) ؟!.. أتسعين للتخلص من غريمك ، أم لتحطيم معنوياتى وثقتى بنفسى ؟

ابتسمت (سونيا) فى خبث ، وهى تقول فى دلال مصطنع :

ـــ إننى أسعى لقتل (أدهم صبرى) بالطبع ياعزيزى (فرانك) ، ولكنك تصرّ على إفساد الأمر بتدخلك ، متجاهلًا أننى أكثر خِبْرة بوسائل ذلك الشيطان وقدراته .

لوَّح (فرانك) بذراعه فى غضب ، وهو يقول :

ـــ إذن فأنت تفترضين أن رجلك الخارق هذا قد نجا من الموت ، بل إنه قد هزم (مانى) ودَحَره أيضًا !

هزَّت (سونيا) كتفيها فى هدوء ، وهى تقول :

ـــ بالطبع ياعزيزى (فرانك) .

صاح فى عصبيَّة :

ـــ كيف تتوقَّعين إحراز النصر على خصم بكل هذه القوَّة إذن ؟

ابتسمت فى برود ، وهى تشير إلى رأسها قائلة :

ـــ بهذا يا (فرانك) .. بالذكاء وليس بالقوة .

صمت لحظة وهو يَحْدِجُها بنظرة ناريَّة ، ثم عاد يلوِّح بذراعه ، قائلًا فى حِدَّة :

ـــ وماذا سيفعل ذكاؤك إزاء هذا الشيطان ؟

ابتسمت فى خبث ، وهى تقول :

ـــ لقد فعل بالفعل ياعزيزى (فرانك) .

عقد حاجبيه وهو يسألها فى سخط :

ـــ فعل ؟!.. ماذا فعل بالضبط ؟

استرخت فى مجلسها ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، على نحو منحها مظهرًا فاتنًا شديد الجاذبيَّة والإغراء ، ونفثت دُخان سيجارتها وهى تقول فى هدوء :

ـــ لقد كنت أتوقَّع أن يهزم (أدهم) رجليْك ، وأن يجبُر أحدهما أو كليهما على الاعتراف بأنك من طلب قتله .

غمغم (فرانك) فى حَنَق :

ـــ لن ينطق (مانى) أو (چان) بكلمة واحدة .

ابتسمت فى خبث وسخرية ، واستطردت متجاهلة تعليقه :

ـــ وبعدها سيبحث عن مسكنك ، وسيسعى جاهدًا لاقتحامه ، وأعتقد أن ذلك سيكون فى هيئة المفتش (مانى) .

هتف (فرانك) فى استنكار :

ـــ هذا مستحيل !!

تجاهلته (سونيا) مرَّة أخرى ، وهى تردف فى ذلك المزيج من الخبث والسخرية :

ـــ ولكى يتنكَّر فى هيئة (مانى) ، عليه أن يذهب إلى مكان آمن ، أو يستأجر منزلًا على شاطئ البحر ، ولابدَّ له من أن يترك زميلته السخيفة هناك ويأتى بمفرده .

عاد (فرانك) يقاطعها فى حِدَّة :

ـــ هذا مستحيل !! إننى لن أخطئ (مانى) أبدًا .

هزَّت قدمها فى سخرية واستهتار ، وهى تقول فى برود :

ـــ هل تراهن على ذلك ؟

لم تكد تتم عبارتها ، حتى دَلَف أحد رجال (فرانك) إلى الحجرة ، وقال لزعيمه فى احترام :

ـــ المفتش (مانى) يرغب فى مقابلتك ياسيِّدى .

ارتجف جسد (فرانك) ، وهو يلتفت إلى (سونيا) فى دهشة ، فى حين برقت عيناها فى شراسة ، وأخرجت مسدّسها من حقيبتها الصغيرة فى سرعة ، وتأكّدت من حشو خزانته بالرصاصات ، قبل أن تقول فى انفعال شديد :

ـــ ألم أقل لك يا (فرانك) ؟.. هاهو ذا (أدهم صبرى) قد جاء .. جاء إلى حتفه ياطفلى العزيز .

* * *



٧ ـــ رصاصة فى الرأس ..

لم يستطع (فرانك جوردان) إخفاء تلك النظرة الفاحصة ، التى تطلّع بها إلى (مانى) وهو يدلف إلى حجرته بوجه تغطّى بالضمادات ، ولا نبرة الشك التى سرَت فى صوته ، وهو يقول فى لهجة جافّة خشنة :

ـــ ما الذى أتى بك فى مثل هذا الوقت المتأخر ؟.. ولماذا لم تتصل هاتفيًا كما اتفقنا ؟

تردّد (مانى) لحظة ، وهو يختلس النظر إلى (سونيا) ، التى ابتسمت فى خبث وسخرية ، وهى تتطلع إليه ، فصاح به (فرانك) فى حِدّة :

ـــ أجب عن سؤالىّ .. إن السيّدة تعلم كل شىء .

كان هذا القول الأخير يكفى ليتغلّب (مانى) على تردُّده ، ويلوّح بذراعيه فى انفعال ، قائلًا :

ـــ لقد فرَّ الرجل والفتاة يا مستر (فرانك) .. لقد كنا نكبلهما بالأغلال ، ولكن ذلك الشيطان باغتنا بانقضاضة عاصفة مذهلة ، وحطّم وجهى بقبضة فولاذية قبل أن أتحرّك قِيدَ أُنمُلة ، وهشّم وجه (چان) و .....

قاطعه (فرانك) فى حِدّة وصرامة :

ـــ إنك لم تجب عن سؤالىّ بعد .

ارتبك (مانى) وهو يقول :

ـــ ولكننى أتيت من أجل هذا يا مستر (فرانك) ، ولقد أردت أن أريك وجهى المحطّم ، خشية ألا تصدّقنى .

التقى حاجبا (فرانك) فى شك ، وألقى نظرة مترددة على (سونيا) ، التى قابلته بابتسامة ساخرة ، وكأنها تؤكد له صدق حدسها ، فاقترب من (مانى) ، الذى ارتجف على نحو واضح ، وانحنى يتفرّس ملامحه فى إمعان ، فغمغم (مانى) فى ارتباك :

ـــ ماذا هناك يا مستر (فرانك) ؟

سأله (فرانك) بغتة :

ـــ لماذا تخفى الجزء الأكبر من ملامحك خلف هذه الضمادات يا (مانى) ؟

هتف (مانى) فى دهشة :

ـــ أخفيها ؟!

ثم استطرد فى جزع :

ـــ إننى لا أخفى شيئًا يا مستر (فرانك) .. لقد ضمّدت الأجزاء المحطمة من أنفى وجانب وجهى فحسب .

ازداد انعقاد حاجبى (فرانك) فى مزيج من الشك والحَيْرة ، وهو يغمغم :

ـــ ولكن هذا مستحيل .

ثم أدار عينيه إلى (سونيا) ، التى عقدت حاجبيها بدورها ، ونهضت من مقعدها لتسير فى بطء إلى ما خلف (مانى) ، الذى انتقلت إليه الحَيْرة والشّك ، وامتزجا بتوتُّره وهو يكرِّر عبارته :

ـــ ماذا هناك يامستر (فرانك) ؟

وفى حركة بطيئة ، وبانفعال شديد ، رفعت (سونيا) مسدّسها ، وهى تمد ذراعها عن آخره ، وصوّبته إلى رأس (مانى) من الخلف ، ثم هتفت فجأة :

ـــ فليسجل التاريخ هذه اللحظة .. لحظة إعدامك يا (أدهم صبرى) .

التفت (مانى) فى سرعة نحوها ، واتسعت عيناه لحظة وهو يحاول القفز جانبًا ، إلا أن رصاصة (سونيا) انطلقت بسرعة ، ورأى (فرانك) رأس (مانى) يتهشّم ، وتتناثر منه الدماء ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

* * *

مضت لحظة و (فرانك) يحدّق فى جثة (مانى) بذهول ، قبل أن يدير عينيه إلى (سونيا) ، ويصرخ فى وجهها غاضبًا :

— ماذا فعلت أيتها اللّعينة ؟.. إنه أفضل رجالى فى المنطقة .

تألقت عينا (سونيا) ، وهى تشعل سيجارتها بأصابع مرتجفة ، وقالت فى انفعال :

— أمازلت تصرّ على أنه (مانى) ؟.. خطأ ياعزيزى (فرانك) .. هذا الرجل الذى قتلته هو خصمى اللدود (أدهم صبرى) .

صاح (فرانك) فى حَنَق :

— أخطأت يا (سونيا) .. هذا القتيل هو المفتش (مانى) .. إننى لا أخطئ أبدًا صوته وملامحه .

أطلقت (سونيا) ضحكة عصبية ساخرة ، وأشارت إلى الجثة بسبّابتها ، قائلة :

— صوته وملامحه ؟! .. إن (أدهم صبرى) يمتلك حنجرة مذهلة يا (فرانك) ، ويمكنه تقليد حتى صوت خرير الماء ، أما بالنسبة للملامح فهو أستاذ فى فن التنكر ، يكاد يفوّق على الحرباء نفسها .. أراهنك أن هذه الملامح مجرد قناع من البولى إيثيلين الرقيق ، ويمكنك انتزاعه بسهولة .

تردّد (فرانك) لحظة ، وهو يتطلّع إلى جثة (مانى) ، ثم انحنى

نحوها ، وجذب بشرة الوجه فى رفق ، ثم اتسعت عيناه ، وهو يهتف فى سخط :

— أيتها التعسة .. إنه (مانى) .. لقد قتلت أفضل رجالى .

ارتجف جسد (سونيا) ، وارتعد صوتها فى انفعال ، وهى تقول :

— مستحيل .. حاول مرة ثانية .. لا ريب أن هذا الشيطان قد استخدم وسيلة جديدة للتنكُّر .. أو أنه .....

تحوّلت ارتجافتها إلى انتفاضة ذُعر قوية ، حينما جاء من خلفها صوت ساخر هادئ يقول :

— ولكنها الحقيقة يا عزيزتى (سونيا) .. هذا الرجل ليس أنا .. فأنا أقف خلفك .

وكادت (سونيا) تسقط منهارة ، واتسعت عينا (فرانك) فى ذعر ، حينما وقع بصراهما على وجه (أدهم) ، الذى يبتسم فى سخرية ، ويصوّب إليهما مسدّسه فى استهتار ..

* * *

ترقرقت دموع القهر فى عينى (سونيا) ، وهى تغمغم فى انهيار :

— لقد خدعتنى .. لقد خدعتنى مرّة أخرى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهزّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— ليس من المفروض أن يزعجك هذا ياعزيزتى ، فهذا ما اعتدناه فى قتالنا .

أعادت كلماته إلى (سونيا) غضبها ، فهتفت فى حَنَق :

— ولكنك لن تنتصر هذه المرّة يا (أدهم) .. لن تسترجع رفيقك البدين أبدًا .

هزّ (أدهم) كتفيه مرة أخرى ، وقال :

— كما تشائين يا عزيزتى (سونيا) .

ثم أردف فى صرامة ، وهو يصوّب إليها مسدّسه :

— ولكننى سأعرض عليك مبادلة أخرى .. حياة (قدرى) مقابل حياتك .

ظلّ (فرانك) ينقّل بصره بين وجهى (سونيا) و (أدهم) دون أن ينبس ببنتِ شَفَة ، فى حين عقدت (سونيا) ساعديها أمام صدرها فى تحدّ ، وهى تقول فى صرامة :

— إنك لن تطلق النار علىّ يا (أدهم) .. ليس من شيَمك

أن تطلق النار على امرأة ، وخاصّة إذا ما كانت لا تحمل سلاحًا .

عاد (أدهم) يهزّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول فى سخرية :

— للضرورة أحكام ياعزيزتى ، وأنت التى تضطريننى للتخلّى عن بعض مبادئى .

قالت فى حِدّة :

— فلتعلم إذن أن رجال (فرانك) سيطلقون النار بلا تردُّد على رأس زميلك البدين ، إذا ما أصابنا مكروه .

أجابها (أدهم) فى برود :

— سيكون عليهم حينئذ دفن ثلاث جثث ياعزيزتى .

تدخّل (فرانك) فى الحديث لأول مرّة ، قائلًا فى توتُّر :

— سأدفع ثمن حياتى يا مستر (صبرى) .. سأفتدى عمرى بمليون دولار .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— رائع .. وكم تساوى حياة عزيزتنا (سونيا) فى تقديرك ؟

ألقى (فرانك) نظرة سريعة على (سونيا) ، ثم عاد يقول فى عصبيَّة :

ــ إننى أتحدَّث عن حياتى أنا يامستر (صبرى) ، وسأرفع المبلغ إلى مليون ونصف المليون .

هتفت (سونيا) فى حَنَق :

ــ يالك من جبان غبىّ !! إنك تتحدَّث إلى رجل لا يبالى بملايينك اللعينة ..

ثم أردفت فى صرامة :

ــ إنه لا يخسر معاركه من أجل المال .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ من الطريف أن يفهم كل منا الآخر على هذا النحو ياعزيزتى (سونيا) .

تألَّقت عينا (سونيا) ببريق عجيب ، وهى تقول :

ــ بالطبع يا (أدهم) .. إننى أفهمك كما لن يمكنك أن تتصوَّر .

ثم رفعت ساعة يدها إلى فمها ، وظلت ترمق (أدهم) بتلك النظرات العجيبة ، وهى تقول عَبْرَ جهاز لاسلكى صغير فى الساعة :



هتفت (سونيا) فى حَنَق :
ــ يا لك من جبان غبىّ !! إنك تتحدَّث إلى رجل لا يبالى بملايينك اللعينة ..

ــ (راشيل) .. ابقى لصديقنا (أدهم صبرى) أننا نفهمه جيِّدًا ..

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يتساءل عن الخدعة التى تحاول (سونيا) إحكامها ، وقبضت أصابعه على مقبض مسدَّسه فى حذر ، ولكن حذره لم يلبث أن تحوَّل إلى مزيج من الدهشة والحنق والجزع ، حينما ارتفع صوت زميلته (منى) ، عَبْرَ مكبِّر صوتى فى الحجرة ، وهى تقول فى اضطراب :

ــ (أدهم) .. إنه أنا .. (منى) .. لقد فاجأنى هؤلاء الأوغاد ، ونجحوا فى القبض علىَّ .. وهناك فتاة تقول إنها ستطلق النار على رأسى ما لم تستسلم ، ولكن لا تستمع إليها يا (أدهم) .. لا تستسلم .. أرجوك .

توقَّف الصوت فجأة ، وأطلَّ غضب هائل من عينى (أدهم) ، وهو يقول :

ــ لو مسَّ أحدكم شعرة واحدة من رأسها ، فسأقتلكم جميعًا .

ابتسمت (سونيا) فى سخرية ، وقالت :

ــ مسدَّسك أولًا ياسيِّد (أدهم) .. إنك لن تضحِّى بزميلتك الحبيبة .. أليس كذلك ؟

تردَّد (أدهم) لحظة ، ثم عاد يسألها فى صرامة :

ــ وما الذى يضمن لى أن استسلامى سينقذها من وحشيتك ؟

عادت (سونيا) ترفع ساعة يدها وتدنيها من فمها ، وهى تقول فى هدوء :

ــ أطلقى سراح الفتاة حينما أبلغك باستسلام صديقنا (أدهم) يا (راشيل) .

ثم خفضت معصمها ، وهى تقول فى صرامة :

ــ ليس لدىَّ ضمانات أخرى ياعزيزى (أدهم) .

ظهر الغضب على وجه (أدهم) لحظة ، ثم ألقى مسدَّسه إلى ركن الحجرة فى حَنَق ، وهو يقول :

ــ حسنًا يا (سونيا) .. أنا أستسلم .

تنهَّد (فرانك) فى ارتياح ، فى حين تألَّقت عينا (سونيا) فى وحشية ، وهى تقول :

ــ لقد ظفرت بك أخيرًا يا (أدهم صبرى) .. ظفرت بك أخيرًا .

وأطلقت ضحكة وحشية ظافرة ، لا تتوافق قط مع جمالها ورقتها ..

* * *

٨ ــ الخدعة الكبرى ..

تحرّكت (سونيا) فى هدوء نحو الركن الذى ألقى فيه (أدهم) مسدّسه ، والتقطته فى سرعة ، وعادت تصوّبه إلى (أدهم) فى انفعال وظفر ، فى حين ألقى (فرانك) جسده فوق أقرب مقعد إليه ، وهو يهتف فى مزيج من الدهشة والفرح :

ــ كيف فعلت هـذا يا أميرتى ؟.. كيف نجحت فى التوصّل إلى مخبإ الفتاة واقتناصها ؟

ابتسمت (سونيا) ابتسامة فخر ماكرة ، فى حين سألها (أدهم) فى برود :

ــ نعم أيتها الأفعى .. كيف فعلت ذلك ؟

أطلقت (سونيا) ضحكة ساخرة عالية ، وقالت :

ــ سيدهشك أن تعرف الجواب ياعزيزى (أدهم) .

ثم استطردت فى صوت مرتفع :

ــ ادخُلى يا عزيزتى (راشيل) .. لقد انتهى كل شىء .

لم يحاول (أدهم) الالتفات خلفه حينما فتحت (راشيل) الباب ، وسمع صوت خطواتها وهى تقترب منه ، ولكنه التفت

فى حركة حادّة ، تشوبها الدهشة ، حينما قالت (راشيل) فى هدوء ، وبلهجة مصرية خالصة :

ــ فى خدمتك يا (سونيا) .

اتسعت عينا (أدهم) فى دهشة ، وهو يحدّق فى وجه (راشيل) الجميل ، وشعرها الأشقر وعينيها الزرقاوين ، ثم لم يلبث أن غمغم فى سخرية :

ــ خدعة ماكرة هذه المرّة يا عزيزتى (سونيا) .

ابتسمت (راشيل) فى برود ، فى حين عادت (سونيا) تطلق ضحكتها الساخرة ، قبل أن تقول :

ــ هل رأيت كيف يشبه صوت عزيزتى (راشيل) صوت صديقتك (منى) تمامًا ؟.. لقد أدهشنى ذلك أيضًا حينما انضمت (راشيل) لمخابراتنا ، ولكننى لم أفكر فى استغلال ذلك من قبل .

تبادلت (سونيا) نظرة ظافرة مع (راشيل) ، واختلست النظر إلى الدهشة المرتسمة على وجه (فرانك) ، ثم استطردت فى هدوء :

ــ ولكننى قرّرت هذه المرّة أن أتخذ كل أسباب الحيطة والحذر ، حتى أضمن النصر عليك ياعزيزى (أدهم) ، ولقد فكّرت فى الاستعانة بـ (راشيل) فى خُطّة احتياطية للطوارئ .. ولقد أفادنى ذلك كما ترى ، فحينما أصرّ

(فرانك) على التخلّص منك بوسائله ، كنت أعلم أنه سيفشل ، كما كنت أعلم أنك ستصل إلى هنا بعد أن تتغلب على رجاله ، وتجبر أحدهم على الاعتراف ، ولقد قدّرت أنك ستأتى وحدك ، وستترك زميلتك فى مكان آمن لتجنبها المخاطر كعادتك ، واتفقت مع (راشيل) على أداء دورها ، ولتعلم أننا بذلنا جهدًا فائقًا طيلة شهر كامل ، حتى يمكن لـ (راشيل) أن تتحدّث بنفس أسلوب زميلتك ، وحينما أخبرتها ــ عَبْرَ اللاسلكى فى ساعتى ــ بوجودك ، أسرعت تمثّل الدور الذى تدرّبت عليه طويلًا .

ثم ابتسمت فى غرور ، قبل أن تردف :

ــ ولا ريب أنك تعترف بذكائى فى اختيار الكلمات ، فأنا لم أجعل (راشيل) تطلب منك الاستسلام ، وإلّا فهمت على الفور أنها ليست زميلتك ، وإنما طلبت منها أن تشرح لك خطورة موقفها وحرجه ، ثم تطالبك بعدم الاستسلام ، وأنا واثقة من أنك لن تضحّىَ بها أبدًا .

واقتربت منه فى تحدٍّ ، وهى تقول :

ــ ألا تعترف بأنها خُطّة بارعة ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ بالطبع أيتها الأفعى .. إنها خُطّة ماكرة شيطانية ، ولكنك نسيت نقطة واحدة .

عقدت حاجبيها فى صرامة ، وهى تقول فى حِدّة :

ــ إننى لم أنسَ أيّة نقطة .

هزّ كتفيه فى برود ، وهو يقول :

ــ بالعكس يا عزيزتى (سونيا) .. لقد نسيت أهم نقطة .

هتفت فى عصبيّة :

ــ أتحدّاك .

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ لقد قبلت التحدّى ياعزيزتى (سونيا) .. فقد نسيت أنت أن اطمئنانى إلى وجود (منى) فى مكان آمن يبدّل كل شىء .

حدّق الجميع فى وجهه بدهشة ، وكانت (سونيا) هى أول من أدرك ما يعنيه ، فقفزت محاولة الابتعاد عنه فى سرعة ، وهى ترفع مسدّسها إلى وجهه ..

ولكن هيهات .. لقد تحرّك (رجل المستحيل) ..

* * *

تبدَّل الموقف كله فى لحظة واحدة ..

لقد تحرَّكت قدم (أدهم) كالقنبلة ، لتركل المسدَّس الذى تمسك به (سونيا) ، ثم دار على عقبيه فى سرعة مذهلة ، وصفع (راشيل) صفعة قوية ، ألقتها أرضًا وهى تصرخ من الألم والمفاجأة ، وقفز فى رشاقة ومرونة ، ليلتقط مسدَّس (سونيا) فى الهواء ..

ولكن المسدَّس ابتعد فجأة ، وبسرعة ..

ابتعد حينما أصابه سهم قوىّ ، دفع به إلى نهاية الحجرة ..

وهبط (أدهم) على قدميه ، وعقد حاجبيه وهو يتطلَّع إلى (فرانك) ، الذى جذب وتر قوسه مرَّة أخرى ، وسدَّد سهمه الثانى إلى قلب (أدهم) ، وهو يهتف فى صرامة :

ـــ لقد رأيت عيِّنة من براعتى فى هذا المضمار أيها المصرى ، وسأغرس سهمى الثانى فى قلبك ، لو بدرت منك حركة واحدة .

اعتدل (أدهم) فى هدوء ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ هل عُدنا إلى عصر (روبن هود) ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى اندفع أربعة من رجال (فرانك)



ثم دار على عقبيه فى سرعة مذهلة ، وصفع (راشيل) صفعة قوية ، ألقتها أرضًا وهى تصرخ من الألم والمفاجأة ..

داخل الحجرة ، وصوَّبوا مسدَّساتهم نحو (أدهم) ، وهم ينقِّلون أبصارهم فى حَيْرة بينه وبين زعيمهم ، انتظارًا لأوامره ، فى حين هتفت (سونيا) فى انفعال :

ـــ اقتله يا (فرانك) .. اقتله بلا تردُّد .

هتف بها (فرانك) فى صرامة :

ـــ صَهْ يا (سونيا) .. لقد حاولت أنتِ وفشلتِ .. اتركينى أعالج الأمور بطريقتى إذن .

صاحت (سونيا) فى غضب :

ـــ لاتكرِّر حماقات الآخرين .. اقتله قبل أن تضيع الفرصة .

صاح (فرانك) فى صرامة :

ـــ صَهْ يا (سونيا) .

أطبقت (سونيا) شفتيها فى غضب ، وهى تقبض كفها فى عصبية ، فى حين ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ استمع إلى نصيحتها أيها الوغد .

حدجه (فرانك) بنظرة باردة ، فى حين غمغم أحد رجاله فى توتُّر :

ـــ هل أطلق النار على رأسه أيها الزعيم ؟

أجابه (فرانك) فى هدوء :

ـــ دَعْهُ لى يا (برنارد) .

ثم التفت إلى (أدهم) ، مستطردًا فى هدوء :

ـــ هل تعلم ماذا سيحدث عندما أرخى سبَّابتى ووسطاى ، اللتين تجذبان وتر القوس ؟.. سيرتد الوتر فى قوة ، دافعًا ذلك السهم ذا الرأس المدبَّب الحادّ ، ليستقر فى أعماق قلبك .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

ـــ لا أظن أننى أحتاج إلى سماع محاضرة عن فن استخدام القوس والنُّشَّاب أيها الوغد .

تجاهل (فرانك) سخرية (أدهم) ، وهو يستطرد فى برود :

ـــ وأنت تعلم طبعًا أن إصابة الهدف المتحرِّك تكون أكثر صعوبة من إصابة الهدف الثابت ، وعلى الرغم من ذلك فأنا أشعر بمزيد من المتعة ، عند نجاحى فى إصابة هدف متحرِّك .

عاد (أدهم) يغمغم فى سخرية :

ـــ إنها متعة الذئب .

مَرَّةً أخرى تجاهل (فرانك) سخرية (أدهم) ، مردفًا :

— وسأمنحك فرصة نادرًا ما أمنحها لطريدتى أيها المصرى .. سأسمح لك أن تبدأ بالتحرُّك ، قبل أن أطلق أنا سهمى .

اتسعت عينا (سونيا) ، وهى تهتف فى حَنَق :

— كلَّا يا (فرانك) .. سترتكب أبشع أخطاء حياتك لو أنك منحته هذه الفرصة .

ابتسم (فرانك) فى سخرية ، وقال فى غرور :

— إننى لا أخطئ هدفى أبدًا ياأميرتى ، وحتى لو افترضنا حدوث هذا — مع استحالته — فسيطلق رجالى النار عليه على الفور .

وجذب وتر قوسه ، وهو يستطرد فى ثقة وغطرسة :

— لا أمل لشيطانك هذا فى النجاة يا أميرتى .

ثم أشار إلى (أدهم) ، قائلًا :

— هيَّا .. تحرَّك .

وتحرَّك (أدهم) ، وانطلق السهم القاتل ..

* * *

٩ — أسرع من السهم ..

لن نضيع الوقت فى محاولة تفسير ما حدث هذه المرَّة ، ولا فى شرح علاقة ذلك بعلم وظائف الأعضاء ، أو متوسط سرعة ردود الأفعال ، وإنما سنكتفى بوصف ما حدث ، وفى ذلك الكفاية ..

لقد ارتدّ الوتر بالفعل ، ودفع السهم نحو قلب (أدهم) فى مهارة مذهلة ، ولكن (أدهم) تحرَّك فى سرعة بدت فى أعين الجميع خرافية ، وفى مرونة ورشاقة جعلتا خصومه يتراجعون فى ذُعر وذهول ، فقد انحنى (أدهم) ، وانثنى ، ومال إلى اليمين ، ودار حول نفسه ، كما لو كان مشهدًا من فيلم يدور بأقصى سرعته ، وابتعد عن طريق السهم الذى ارتطم بالباب الخشبى فى نهاية الحجرة ، متجاوزًا جسده ، ثم ارتفعت قدمه فى سرعة مذهلة ، لتركل مسدَّس أحد الرجال الأربعة ، واندفعت قبضته تهشم فك الثانى ، وغاصت قدمه الأخرى فى معدة الثالث ، وحطمت قبضته الثانية أنف الرابع ، ثم حمل الأول فى قوَّة وبساطة ، كما لو كان يزن كيلوجرامًا واحدًا ، وألقاه نحو (فرانك) ، ليمنعه من التقاط سهم آخر ..

وسقط (فرانك) أرضًا تحت ثقل الرجل الذى ارتطم به ، وأسرعت (راشيل) تحاول التقاط مسدَّسها ، فى حين قفزت (سونيا) إلى المسدَّس الملقى أرضًا ، وحاولت التقاطه قبل أن يصل إليه (أدهم) ..

وقفز (أدهم) إلى الخلف ، وركل مسدَّس (راشيل) ، فأطاح به بعيدًا ، وصفعها مرَّة أخرى ليلقيها جانبًا ، ثم انتزع السهم المغروز فى الباب الخشبى ، وألقاه فى مهارة نحو (سونيا) ، لينغرز إلى جوار المسدَّس الذى كادت تلتقطه تمامًا ..

وأسرع (فرانك) ينهض ، وحاول أن يلتقط قوسه مرَّة أخرى ، ولكن (أدهم) أوقفه حينما قال فى صرامة :

— هل تفضّل أن تفقد يدك ؟

تصلبت يد (فرانك) فى مكانها ، وتفجَّرت دموع القهر من عينى (سونيا) ، فقد كان (أدهم) يصوِّب إلى الجميع مسدَّسًا ، التقطه من بين أجساد رجال (فرانك) الذين فقدوا الوعى ، ويستطرد فى صرامة وسخرية :

— لقد خسرتم هذه الجولة أيها السَّادة .

* * *

نهض (فرانك) فى بطء ، ولوَّح بكفِّه فى وجه (أدهم) ، وهو يقول فى ذُعر :

— مستر (صبرى) .. مازال عرضى ساريًا .. سأدفع مليونًا ونصف المليون من الدولارات فى مقابل حياتى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، فى حين هتفت (سونيا) فى غضب :

— ألا تتعلَّم من أخطائك أبدًا أيها الغبىّ؟

ثم استطردت فى سخط ، وهى تدير عينيها إلى حيث يقف (أدهم) :

— ثم إننا لم نفقد كل الأوراق بعد .. مازلنا نحتفظ بصديقه البدين .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال فى سخرية :

— أعتقد أنه بات من الواضح ياعزيزتى (سونيا) ، أن (فرانك چوردان) لن يتردَّد لحظة واحدة فى الاعتراف بمكان (قدرى) ، وإلَّا أطلقت النار على رأسه .

هتف (فرانك) فى ذُعر :

— ولكننى لا أعرف مكانه .. أقسم لك .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ محاولة خداع فاشلة أيها الوغد .. ستخبرنى أين (قدرى) أو ...
قاطعته (سونيا) فى حِدّة :
ـــ إنه لايعلم بالفعل .. أنا وحدى أعلم أين زميلك البدين .
أدار (أدهم) فوّهة مسدّسه إلى رأسها ، وهو يقول فى غضب حازم :
ـــ حسنًا يا (سونيا) .. سنعود إلى عرضى الأول .. حياتك مقابل حياته .
لوّحت بذراعها فى صرامة وعناد ، وهى تقول :
ـــ محال .. اقتلنى لو أردت ، ولكننى لن أسمح لك بهزيمتى هذه المرّة أبدًا .
ثم اندفعت تستطرد فى عصبيّة :
ـــ إن صديقك البدين مسجون فى مكان سرّى لا يعلمه سواى ، والحرّاس الخمسة الذين يتبادلون حراسته ، والقبو الذى أحتفظ به فيه ملغوم بعدد من القنابل الشديدة التفجير ، ولدى الحراس الأربعة أمر بقتل زميلك البدين فور شعورهم بالخطر ، وغير مسموح لأى كائن من كان برؤيته سواى ، وبعد أن

أخبرهم بعبارة سرّيّة خاصّة ، وعلىّ أن أتصل بهم كل ساعة ، وإلّا قتلوه بلا رحمة .
وأطلقت ضحكة عصبية ، قبل أن تردف فى تشفٍّ :
ـــ إننى لم أترك لك ثغرة واحدة للوصول إليه أيها الشيطان ، ولن أتركه إلا بالشرط الذى سبق أن أخبرتك به .
وتألّقت عيناها فى شراسة ، وهى تتابع فى غضب :
ـــ أن أعدمك يا (أدهم صبرى) .
ران صمت ثقيل على المكان ، و (أدهم) يفكر فى كلمات (سونيا) فى عمق ، قبل أن يقول فى هدوء :
ـــ وكيف يمكن أن أضمن سلامة المبادلة يا (سونيا) ؟
لوّحت بذراعيها ، وهى تقول فى انفعال :
ـــ ضع أنت الضمانات أيها الشيطان .. المهم أن أظفر بك فى النهاية .
عاد الصمت يلفهما بردائه الثقيل لحظات ، قبل أن يعود (أدهم) إلى الحديث فى هدوء :
ـــ حسنًا يا (سونيا) .. إننى أوافق على مبادلة حياة (قدرى) بحياتى ، على أن يتم ذلك على نحو يسمح لك بالتأكد من تحقيق هدفك ، الذى هو إعدامى ، ويؤكد لى فى الوقت

ذاته أن (قدرى) و (منى) لن يتعرّضا للأذى بعد مصرعى .
لم تصدّق (سونيا) أذنيها ، وهى تهتف فى انفعال :
ـــ أقسم لك بشرفى .
ابتسم فى مزيج من المرارة والسخرية ، وهو يقول :
ـــ كلّا ياعزيزتى (سونيا) .. إننى أريد ضمانًا أثق فيه .
عقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول :
ـــ ماذا تريد بالضبط ؟
أجابها (أدهم) فى هدوء :
ـــ ستتم المبادلة فى مكان محايد يا (سونيا) ، ولتكن نفس المنطقة المقفرة التى حاول (مانى) و (چان) قتلنا فيها .. سأذهب إلى هناك فى الثالثة صباح الغد ، وبصحبتى زميلتى (منى) ، فى حين تذهبين أنت مع (قدرى) ، ومن تشائين من رجالك ، وسأنتقل إلى سيارتك ، وأضع روحى رهن إشارتك ، فى نفس الوقت الذى ينتقل فيه (قدرى) إلى سيارتى ، وينطلق بها بعيدًا فى أمان بصحبة (منى) .
عقدت حاجبيها مفكرة فى عمق ، ثم سألته فى تردُّد :
ـــ وما الذى يضمن لى أنك لن تلجأ إلى الخداع ؟
هزّ كتفيه قائلًا :

ـــ لقد اتفقنا على أنه لا توجد ضمانات يا (سونيا) .
تفكّرت فى كلماته لحظة ، ثم قالت فى انفعال :
ـــ لن أطلق سراح (قدرى) قبل أن أحصل عليك بالفعل .
ابتسم فى هدوء ، وهو يقول فى برود :
ـــ اتفقنا .
ثم تحرّك نحو النافذة فى حَذَر ، وهو يصوِّب إليهم مسدّسه ، وتوقّف لحظة ليسأل (سونيا) فى هدوء :
ـــ بالمناسبة يا (سونيا) .. كيف تنوين إعدامى ؟
تألّقت عيناها فى شراسة ، وهى تقول :
ـــ شنقًا ياعزيزى (أدهم) .. شنقًا .. سيحلو لى رؤية جسدك يتأرجح فى حبل المشنقة .
ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :
ـــ هذا طريف .. سأكون آخر من يخرج لسانه للجميع إذن .
ثم قفز فجأة خارج النافذة ، وسرعان ما ابتلعته الظلمة ، بعد أن تحدّد موعد إعدامه .
إعدام بطل ..

* * *



ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :
ــ هذا طريف .. سأكون آخر من يخرج لسانه للجميع إذن ..

١٠ ــ مقابلة فى الظلام ..

التمعت الدموع فى عينى (منى) ، وهى تستمع إلى (أدهم) فى خليط من الدهشة والذعر ، قبل أن تهتف فى انفعال :

ــ إنك لن تستسلم لها بالطبع .. أليس كذلك ؟

بدت لها ابتسامة (أدهم) شاحبة ، باهتة ، وهو يربّت على كتفها فى حنان ، قبل أن يجلس فى هدوء على المقعد المقابل لها ، ويقول فى صوت خافت :

ــ لقد درست الموقف كله وأنا فى طريق العودة إلى هنا يا (منى) ، ووجدت أنه ليس أمامى سوى ذلك ، من أجل (قدرى) .

هتفت (منى) فى توتّر :

ــ ومن أدراك أن (قدرى) سيقبل تضحيتك هذه ؟

مطّ شفتيه ، وهو يقول :

ــ لن يكون أمامه إلّا أن يقبل يا (منى) ، فأنا لن أتراجع .

عجزت أخيرًا عن كبت الدموع التى تتصارع فى مُقلتيها ، فتركتها تنهمر على وجنتيها ، وهى تقول فى ألم :

ــ لا ريب أنه هناك وسيلة ما .. إنك لن تضحّىَ بعمرك على هذا النحو .

خفض عينيه لحظة ، وقال فى هدوء :

ــ صدّقينى يا (منى) .. إن حياة (قدرى) تساوى عندى الكثير .

لم تصدّق ما تسمعه أذناها ..

لم تصدّق أن (أدهم صبرى) سيستسلم لمصيره هذه المرّة ..

(أدهم صبرى) الذى جاب أركان العالم ، وحطّم عمالقة الجاسوسية والإجرام ..

(أدهم صبرى) الذى أذلّ ناصية كل أجهزة المخابرات التى حاولت النّيل من أمن وطنه ..

(أدهم صبرى) الذى تحبه ، والذى ملك قلبها حتى لم يعد فيه مكان لسواه ..

وجدت نفسها تندفع فجأة لتحتضن رأسه بكفّيها ، وتنفجر باكية ، وهى تهتف فى مرارة :

ــ كلّا يا (أدهم) .. إننى لن أترك هذه الأفعى تقتلك .. لن أتركها تنتزع منّى حياتى ومستقبلى .

تطلّع إليها (أدهم) فى دهشة ، ثم ابتسم مغمغمًا :

ــ حياتك ومستقبلك ؟!.. يا إلٰهى !!.. لِمَ لَمْ تسع (سونيا) إلى ذلك منذ زمن ، حتى أحصل على اعترافك هذا ؟

لم يحمرّ وجهها خجلًا هذه المرّة ، ولم تحاول مداراة عواطفها ، وهى تهتف :

ــ لن أتركك لها يا (أدهم) .. لن أتركك لها أبدًا .

ربّت على شعرها فى حنان ، ورفع إليها عينين مُفعَمتين بالعاطفة ، وهو يقول :

ــ ما من وسيلة أخرى ياعزيزتى .. لابدّ أن تحصل تلك الأفعى على فريستها .

صاحت فى مرارة :

ــ كلّا .. كلّا .

أمسك رأسها بين راحتيه ، وأدار عينيها لتواجها عينيه ، ومدّ أنامله فى حنان يمسح دموعها الغزيرة ، ثم ابتسم وهو يهمس :

ــ ثقى بى يا (منى) .. ثقى بى يا عزيزتى ..

وعادت دموعها تنهمر كالفيض ..

* * *

لوّح (فرانك) بذراعه فى سخط ، وهو يقول محتدًّا :

ـــ يا لك من حمقاء يا (سونيا) !! إن هذا الرجل لن يأتى أبدًا .. لقد قلت بنفسك إنه ماكر كالثعلب .
ابتسمت فى برود ، وقالت وهى تنفث دُخان سيجارتها :
ـــ حتى الثعلب يستسلم حينما ينهكه التعب ، ولا يجد مخرجًا يا عزيزى (فرانك) .
صاح فى سخط :
ـــ وكيف تضمنين أنه سيستسلم ؟.. ما أدراك أنه ينبش الأرض الآن بحثًا عن رفيقه ؟
هزَّت كتفيها فى لامبالاة ، وقالت فى هدوء :
ـــ فليفعل .. إنه لن يجده قط ، وسيكون من سوء حظه أن يعثر عليه .
وعادت تنفث دُخان سيجارتها ، وهى تستطرد فى هدوء :
ـــ أنت لا تعرف (أدهم صبرى) مثلما أعرفه يا (فرانك) .. إنه يشبه فرسان العصور الوسطى الأغبياء ، فهو شهم ، شجاع ، لا يتردَّد فى التضحية بحياته من أجل رفاقه . ولقد اتخذت كل أسباب الحيطة هذه المرَّة ، حتى أُضيِّق عليه الخناق ، وأجعله يعجز عن العثور على رفيقه ، فلا يصبح أمامه سوى الاستسلام .. وأنا لست بالغباء الذى تتصوَّره

بالطبع ، فلم أتوقَّع أبدًا أن يستسلم (أدهم صبرى) بكل بساطة .. إن إصراره وعناده سيدفعانه للمقاتلة حتى آخر رمق ، ولكننى لن أدع له فرصة للنصر .
عقد (فرانك) حاجبيه ، وهو يقول :
ـــ تبدين واثقة يا (سونيا) .
ابتسمت فى شراسة ، وهى تقول فى هدوء :
ـــ جدًّا يا عزيزى (فرانك) ... جدًّا .

* * *

بدا (قدرى) شديد الشحوب ، كثير التوتُّر ، على الرغم من أنه لم يمض فى سجنه أكثر من أربعة أيام ، ولقد ظلَّ صامتًا ، ممطوط الشفتيْن فى غضب ، وحرَّاسه الأربعة ينقلونه من سجنه إلى سيارة فارهة تقف أمام ذلك المنزل القديم ، الذى احتواه قبوه طيلة الوقت ، ولكنه لم يكد يدخل السيَّارة ، حتى هتف فى دهشة :
ـــ (سونيا) ؟!.. هل قرَّرت إعدامى أخيرًا ؟
نفثت (سونيا) دُخان سيجارتها فى برود ، وهى تقول :
ـــ لا أظن حبل المشنقة يحتمل ثقلك أيها البدين .. إننى أعدّها لرجل آخر .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :
ـــ دُعابة سخيفة يا (سونيا) .
ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :
ـــ هل تفضِّل دُعابات صديقك (أدهم) ؟!.. يؤسفنى أنك لن تستمتع بها بعد اليوم ، فسأعدم (أدهم صبرى) فى الفجر .
هتف (قدرى) فى صرامة :
ـــ هيهات .. نجوم السماء أقرب إلى يديك من هذا الحلم السخيف .
أطلقت ضحكة شيطانية ساخرة ، قبل أن تقول فى برود :
ـــ أهذا ما تظنه ؟.. أراهنك أنك ستبدِّل رأيك هذا بعد نصف الساعة فقط .
تطلَّع إليها (قدرى) فى توتُّر ، وقال فى حِدَّة :
ـــ ماذا أعددْتِ يا (سونيا) ؟.. ماذا أعددتِ أيَّتها الأفعى ؟
انبعث صوت أنثوى من المقعد الأمامى يقول فى خشونة :
ـــ تحدَّث إليها بلهجة مهذَّبة ، أو أقطع لسانك أيها الرجل .

جفل (قدرى) لحظة ، والتفت إلى صاحبة الصوت ، وقال فى حِدَّة :
ـــ أهو أنت أيَّتها الحيَّة التى تحمل صوت (منى) ؟.. من العجيب أننى لم ألحظ وجودك من قبل .
صاحت (راشيل) فى غضب :
ـــ صَهْ يا برميل الشحم وإلَّا .....
قاطعتها (سونيا) فى حِدَّة :
ـــ كفى يا (راشيل) .. لا تنسَىْ من الزعيم هنا .
عقدت (راشيل) حاجبيها فى غضب ، وهى تغمغم :
ـــ لا تتحدثى إلىَّ بهذه اللهجة يا (سونيا) .
مالت (سونيا) نحوها ، وهى تقول فى برود :
ـــ هكذا ؟!.. يبدو أنك ستتمادين فى غرورك ، لمجرد أننى لم أعنفك على غيابك الطويل هذا الصباح .
هتفت (راشيل) فى حِدَّة :
ـــ لقد كنت أبتاع بعض المشتريات يا (سونيا) ، وليس من حقك تعنيفى ، ولا تنسَىْ أننى أعاونك بإرادتى ، فأنت لست عضوًا فى (الموساد) بعد .
صاحت (سونيا) فى غضب :

— (راشيل) !!.. إننى ...
قاطعها (قدرى) فى عصبيّة :
— لست أجد شجاركما طريفًا يا (سونيا) .
التفتت (سونيا) إليه فى برود ، وقالت :
— هكذا ؟!.. حسنًا أيها البدين .. لن أجبرك على احتمال شجارنا طويلًا .
وبإشارة من يدها انطلقت السيّارة إلى حيث موعد المبادلة القاتلة ..

* * *

توقّفت سيارة (سونيا) فى ذلك الطريق المظلم وسط الجبال ، ونظرت إلى ساعتها قائلة فى توتُّر :
— إنها الثالثة .. ينبغى أن تظهر سيّارة (أدهم صبرى) الآن .
لم تكد تتم عبارتها ، حتى لاحت أضواء سيارة (أدهم) وهى تقترب ، فانتفض جسد (سونيا) من فرط الانفعال ، وغمغمت :
— لقد وصل .. لقد وصل إلى حتفه .

توقّفت سيّارة (أدهم) على بعد أمتار من سيّارة (سونيا) ، ولمحت (سونيا) غريمها يغادر السيّارة ، ثم يلقى كلمة ما على مسامع زميلته الجالسة إلى جواره ، قبل أن يتقدّم فى هدوء نحو سيّارتها ..
وهبطت (سونيا) من سيارتها ، وجذبت (قدرى) فى عنف ليتبعها ، ثم وقفت تصوّب إليه مسدّسها ، وهى تنتفض انفعالًا ، وتتابع (أدهم) وهو يتقدّم فى بطء وهدوء ..
وتوقّف (أدهم) فى منتصف المسافة ، وقال فى صوت مرتفع :
— (قدرى) يا (سونيا) .
صاحت (سونيا) فى حِدّة :
— أنت أولًا يا (أدهم) .
مطّ (أدهم) شفتيه ، وعاد يواصل سيره فى هدوء ، حتى وصل إلى حيث يقف (قدرى) و (سونيا) ، وقفزت (راشيل) ، خارج السيّارة ، وهى تصوّب مسدّسها إلى رأس (أدهم) فى توتُّر ، وهتف (قدرى) فى حرارة :
— اهرب يا (أدهم) .. اتركنى واهرب .
ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :
— أهرب ؟!.. لماذا ياعزيزى (قدرى) ؟.. إننا نواجه فتاتين فحسب .



وجذبت (قدرى) فى عنف ليتبعها ، ثم وقفت تصوّب إليه مسدّسها ، وهى تنتفض انفعالًا ، وتتابع (أدهم) وهو يتقدّم فى بطء وهدوء ..

صاحت (سونيا) فى حِدّة :
— أنت واهم أيها الشيطان .
وبإشارة من يدها برز خمسون رجلًا من رجال (فرانك) من خلف الصخور ، وصوّبوا مدافعهم الرشاشة إلى الجميع ، وابتسمت (سونيا) فى ظفر ، قائلة :
— لقد خسرت يا (أدهم صبرى) .. سيطلق هؤلاء الرجال النار علينا جميعًا ، بما فى ذلك أنا و (راشيل) ، لو أنك حاولت النكوص .. لقد خسرت حياتك هذه المرّة .

* * *



١١ ــ استسلام (أدهم صبرى)..

لم تحرك (منى) ، التى تجلس فى السيارة ، ساكنًا أمام هذه المفاجأة ، وكأنما لم يعد يَعْنيها أى شىء بعد أن خسرت (أدهم صبرى) ، فى حين ارتجف (قدرى) ، وغمغم فى عصبيَّة :

ــ يا إلهى !!.. إنها النهاية .

أما (أدهم) فقد ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ــ وسيلة طريفة لضمان تنفيذ الاتفاق يا (سونيا) .

هتفت (سونيا) فى شراسة :

ــ ووسيلة طريفة للتخلُّص منكم جميعًا بضربة واحدة أيها الشيطان .

ظلَّت ابتسامة (أدهم) هادئة ، وهو يقول :

ــ خطأ يا (سونيا) .. أنا أيضًا أعددت الضمانات اللازمة .

ثم أشار إلى السيَّارة التى تجلس فيها (منى) ، واستطرد فى هدوء :

ــ هل ترين هذه السيَّارة ؟.. إنها مزوَّدة بمدفع (بازوكا) ، يمكنه تحويل السيارات إلى رماد بطلقة واحدة ، ولن تتردَّد

(منى) فى إطلاقه إذا ما حاولت خداعنا .. ثم إنه ليس من المنطقى أن تخاطرى بخسارة كل شىء ، مادمت ستحصلين علىَّ طبقًا للاتفاق .

عضت شفتيها لحظة ، ثم قالت فى حدَّة :

ــ سأحكم وثاقك أوَّلًا ، قبل أن أطلق سراح زميلك البدين .

هزَّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ــ كما يحلو لك يا (سونيا) ، ولكننى أريد أن أودِّع (قدرى) أولًا .

تراجعت (سونيا) لتفسح لهما الطريق ، فاندفع (قدرى) يعانق (أدهم) فى حرارة ، وهو يهتف فى ألم ، ودموعه تنساب على وجنتيه :

ــ إننى لا أقبل هذه التضحية يا (أدهم) .. لا أقبلها أبدًا .

ربَّت (أدهم) على كتفه فى حنان ، وهو يقول :

ــ ثق أننى لن أندم أبدًا يا (قدرى) ، وأرجو أن تذكرنى دومًا .

هتف (قدرى) فى مرارة :

ــ كلَّا .. إننى لا أقبل ذلك .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

ــ لا تدع الحزن يخدعك يا صديقى .. لا تدع أى شىء فى الدنيا يدهشك .. ستقابلك مواقف تبعث الدهشة فى أعماقك حتى النخاع ، فحاول أن تحتفظ بها داخلك ، ولا تدعها تقفز إلى ملامحك أبدًا و .....

قاطعته (سونيا) فى عصبيَّة :

ــ هل سننتظر طيلة الليل ؟

التفت إليها (أدهم) ، وقال فى برود :

ــ أنا رهن إشارتك يا (سونيا) .

هتف (قدرى) :

ــ كلَّا .. لن أسمح بذلك .

ربَّت (أدهم) على كتفه ، قائلًا :

ــ اذهب يا (قدرى) ، ستقود أنت السيَّارة .

ثم مدَّ معصميه إلى (سونيا) ، قائلًا :

ــ هيَّا ياعزيزتى (سونيا) .. إننى أنتظر إحكام وثاق فى شوق .

صاحت به فى انفعال :

ــ خلف ظهرك ياسيِّد (أدهم) .

أدار (أدهم) معصميه خلف ظهره فى استسلام ، وترك (سونيا) توثقه بأغلال حديديَّة ، وقال لـ (قدرى) فى صرامة :

ــ اذهب يا (قدرى) .

ترقرقت الدموع فى عينى (قدرى) ، واندفع فى خطوات سريعة تحت أبصار الرجال الخمسين ، الذين يصوِّبون إليه مدافعهم الرشاشة ، نحو سيارة (أدهم) ، وتابعته (راشيل) ببصرها فى اهتمام ، حتى وصل إلى السيَّارة ، وقفز إلى مقعد القيادة ، والتفت نحو (منى) وكأنه ينوى أن يقول لها شيئًا ما ، إلا أنه عاد يعتدل فى حركة حادَّة ، وأدار محرك السيَّارة ، وانطلق بها مبتعدًا ..

وبقى (أدهم صبرى) وحده ، وسط رجال (فرانك) الخمسين ، ومدافعهم الرشاشة ، وبين يدى (سونيا جراهام) .. أفعى (الموساد) القاتلة ..

* * *

انتهت (سونيا) من إحكام وثاق معصمى (أدهم) وقدميه ، وأشعلت سيجارتها بأصابع مرتجفة من شدة الانفعال ، فقالت لها (راشيل) فى سخرية :

— هل نقتله الآن ؟
هزّت (سونيا) رأسها نفيًا فى عصبية ، وقالت :
— كلّا .. لقد وعدته بالشنق ، وأنا من النوع الذى يحافظ على وعوده دَوْمًا .
ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :
— كل الوعود ، أم الجانب القذر منها فقط ؟
صاحت (سونيا) فى حِدّة :
— هل تتعجّل مصرعك ؟
هزّ كتفيه فى لامبالاة ، وقال :
— لا فارق يا (سونيا) .. سأنجو من الموت شنقًا على الأقل .
ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :
— كلّا ياعزيزى (أدهم) .. لقد وعدتك .
ثم التفتت إلى (راشيل) ، قائلة :
— اذهبى بنا إلى حيث أعددنا المشنقة ياعزيزتى (راشيل) .
ابتسمت (راشيل) فى سخرية ، وهى تقول :
— على الرّحب والسّعة يا عزيزتى (سونيا) .

واستدارت فى حركة حادّة تمسك بمقْوَد السيّارة ، ولكن معصمها ارتطم بالمقْوَد ، فتأوّهت فى قوّة ، وهتفت فى حَنَق :
— معصمى !!.. لن يمكننى القيادة .
غمغم (أدهم) فى سخرية :
— يمكننا إلغاء تنفيذ حكم الإعدام إذن .
صاحت به (سونيا) فى حَنَق :
— صَهْ .. سأقود أنا السيّارة .
ثم التفتت إلى (راشيل) ، وصاحت فى وجهها غاضبة :
— صوّبى مسدّسك إلى رأسه ، ولا تتردّدى فى إطلاق النار ، وسيتبعنا رجال (فرانك) عن قُرب .
ثم انتقلت إلى المقعد الأمامى ، وانطلقت بالسيّارة فى عصبيّة ..

* * *

كانت (سونيا) تتوقّع طوال الوقت أن يقاوم (أدهم) ، أو يلجأ إلى خدعة ما ، إلّا أنه على العكس ظلّ هادئًا ساكنًا ، وَكأنّما ارتضى الموت ، ولم يعُد يأبه به ..
وانطلقت السيّارة قرابة الساعة ، وسط شوارع

(هاواى) الواسعة ، تتبعها وتحيط بها عشر سيّارات ، تحمل رجال (فرانك) فى تأهب واستعداد ..
كان موكبًا عجيبًا ..
موكب إعدام أعظم ضابط مخابرات فى العالم ..
موكب نهاية (رجل المستحيل) ..
ولم تكن هناك حقًّا فائدة من المقاومة هذه المرّة ..
لقد احتاطت (سونيا) لكل شىء ، حتى أنها قرّرت التضحية بنفسها ، لو اقتضى الأمر ، لضمان مصرع (أدهم صبرى) ..
وتوقّفت السيّارة أخيرًا أمام منزل قديم ..
نفس المنزل الذى كانوا يحتجزون فيه (قدرى) ..
وهبطت (سونيا) ، وهى تقول فى انفعال :
— وصلنا إلى غرفة الإعدام ياسيّد (أدهم) .
أشار (أدهم) بعينيه إلى ساقيه المقيّدتين ، وقال فى سخرية :
— كنت أتمنّى أن أتبعك يا عزيزتى (سونيا) ، ولكن القيود التى تلفّ ساقىّ تعوقنى .
عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حِدّة :

— لا تحاول .. لن أترك لك فرصة للخداع هذه المرّة .
وأشارت إلى بعض رجال (فرانك) ، فأسرعوا يحملون (أدهم) إلى الداخل ، وعقد (أدهم) حاجبيه ، حينما وقع بصره على ما أُعدّ له ..
كان هناك تابوت خشبىّ أسود مفتوح ، خُطّ عليه بحروف أنيقة اسم (أدهم صبرى) باللغات العربية والإنجليزية والعبرية ، وفى وسط الحجرة نصب بعضهم مسرحًا خشبيًا مرتفعًا ، يبرز من منتصفه عمود خشبى ضخم ، ينتهى بزاوية قائمة ، تدلّى منها حبل غليظ ، يحمل فى آخره أنشوطة معقودة ، ومعدّة للشنق ..
وفى صوت عميق منفعل ، قالت (سونيا) :
— المشنقة ياعزيزى (أدهم) .. نهايتك المنتظرة ..

* * *

١٢ ــ إعــدام بطــل ..

وقف (أدهم) يتأمَّل المشنقة المعدَّة لإعدامه فى هدوء ، ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يقول لـ (سونيا) :

ــ لك ذوق ممتاز ياعزيزتى (سونيا) ، هل تسمحين لى بالحصول على صورة تذكارية مع هذه المشنقة الأنيقة ؟

نفثت (سونيا) دُخان سيجارتها فى هدوء ، وهى تقول :

ــ ستحصل على ما هو أكثر من صورة تذكارية ياعزيزى (أدهم) .

ثم أشارت إلى رجال (فرانك) ، فالتفوا حول منصَّة الإعدام ، ومدافعهم الرشاشة مصوَّبة إلى (أدهم) ، وقالت (سونيا) فى برود :

ــ هأنتذا ترى ياعزيزى (أدهم) أنه لا فائدة من محاولة الفرار .

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ــ اطمئنى ياعزيزتى (سونيا) .. أنا لا أنوى الفرار قط .

عقدت (سونيا) حاجبيها فى سخط ، وقالت :



وقف (أدهم) يتأمَّل المشنقة المعدَّة لإعدامه فى هدوء ..

ــ من حقِّك أن تمرح قليلًا قبل أن تتدلَّى من حبل المشنقة .

هزَّ كتفيه فى هدوء ، وهو يقول :

ــ ومَنْ ذا الذى لا يمرح فى مثل هذا الحفل البهيج ؟

تقدَّمت منه (راشيل) فى حركة مفاجئة ، وانحنت تحل وثاقه ، وهى تقول :

ــ هيَّا أيها البطل .. لقد سئمت ذلك الحوار السخيف .

هتفت بها (سونيا) فى غضب :

ــ ماذا تفعلين يا (راشيل) ؟

خدجَتْها (راشيل) بنظرة تحدٍّ ، وهى تقول :

ــ أسعى للحصول على جزء من المجد ياعزيزتى (سونيا) .. سأضع أنشوطة الحبل بنفسى حول عنق السيِّد (أدهم صبرى) .. لا يقلقنك هذا ، فلن أحتلَّ إلَّا مساحة ضئيلة إلى جوارك فى كتب التاريخ .

عقدت (سونيا) حاجبيها لحظة ، وخشيت أن تجادل (راشيل) فتفقد هيبتها وسط رجال (فرانك) ، فلم يكن منها إلَّا أن غمغمت ، وهى تلوِّح بذراعها فى برود :

ــ لا بأس .. لك ذلك .

نهض (أدهم) واقفًا على قدميه ، بعد أن انتهت (راشيل) من حل وثاقه ، وابتسم فى وجهها وهو يقول :

ــ شكرًا ياعزيزتى (راشيل) .. لن أنسَى أبدًا أنك ستكونين صاحبة الفضل فى إعدامى .

غمغمت (راشيل) فى سخرية :

ــ لا توجد ذكريات فى العالم الآخر أيُّها الشيطان .

مطَّ شفتيه فى أسف مصطنع ، وهو يقول :

ــ من المؤسف أننا لن نلتقى أبدًا فى العالم الآخر ، فسأكون فى الجنة .

أطلقت (راشيل) ضحكة عابثة ، وهى تتحسَّس وجهه بأناملها ، قائلةً :

ــ سيؤسفنى ذلك حقًّا ، فأنت أكثر من قابلت وسامة فى عالم المخابرات ، وأكثرهم جاذبيَّة .

صاحت (سونيا) فى غضب :

ــ (راشيل) !!

عقدت (راشيل) حاجبيها ، وهى تقول :

ــ حسنًا يا(سونيا) !! حسنًا !!

ثم انحنت أمام (أدهم) بطريقة مسرحية ، وهى تقول :

ــ إلى المشنقة يا سيِّدى اللورد .

صعد (أدهم) درجات سُلَّم منصة الإعدام منتصب

القامة ، شامخ الجبين ، حتى أن (سونيا) نفسها لم تحاول إخفاء ذلك الإعجاب الذى تبدَّى فى ملامحها ، وهى تتابعه ببصرها ..

وانتفضت فى انفعال حينما أحاطت (راشيل) عنقه بأنشوطة الحبل فى عناية فائقة ، والتفتت إليها تنتظر أوامرها ..

ارتبكت (سونيا) لحظة ، ثم رفعت عينيها إلى (أدهم) ، وقالت فى توتُّر واضح :

ـــ هل تعلم ماذا سيحدث عندما تجذب (راشيل) تلك الذراع الصغيرة ، فى طرف منصة الإعدام ياعزيزى (أدهم) ؟.. ستنفتح من تحت قدميك طاقة كبيرة ، وسيهوى لجسدك فجأة ، وسيتعلق كله بذلك الحبل الذى يلتف حول عنقك ، وستكون الصدمة عنيفة ومفاجئة ، حتى أن فقرات العنق عندك لن تحتمل ، وستنفصل إحداها فى صوت مزعج ، ويتمزّق الحبل الشوكى ، الذى يحمل الأعصاب من مخك إلى أجزاء جسمك المختلفة ، وهذا ما نسميه بالموت شنقًا .

ثم صمتت لحظة ، قبل أن تستطرد فى هدوء :

ـــ وبعد أن أتأكد من مصرعك ، سأرسل برقية إلى إدارة المخابرات المصرية ، أقول فيها إنه قد تم إعدامك ، وسنضعك برفق داخل ذلك التابوت الخشبى ، ونرسله إليهم مع تحياتى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ من المؤسف أن يدىّ مقيَّدتان خلف ظهرى ياعزيزتى (سونيا) ، وإلَّا التهبت بالتصفيق .

عقدت حاجبيها فى مزيج من الدهشة والحنق ، لسخريته فى مثل هذه اللحظة ، ثم سألته فى توتُّر :

ـــ والآن ماذا تريد قبل إعدامك .. كل المحكوم عليهم بالإعدام لهم الحق فى مطلب أخير .

ازدادت ابتسامته سخرية ، وهو يقول :

ـــ هل لى أن ألتمس إعدامى رميًا بالرَّصاص ؟

صاحت فى حِدَّة :

ـــ كلَّا .

ثم استعادت برودها فى سرعة ، وهى تستطرد :

ـــ لقد تقرَّرت هذه الوسيلة وحدها لإعدامك .

رفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ يالها من محاكمة عادلة !!

هتفت (راشيل) فى ضجر :

ـــ أأجذب الذراع ، أم أنكما تنويان التحدُّث حتى الغد ؟

حدجتها (سونيا) بنظرة غاضبة ، ثم أشاحت بوجهها إلى ساعة الحائط القديمة ، وقالت فى انفعال :

ـــ فليسجِّل التاريخ هذه اللحظة .. الخامسة وعشر دقائق فجرًا .. لحظة إعدام (أدهم صبرى) .

والتفتت إليه قائلة فى هدوء :

ـــ وداعًا يا (أدهم صبرى) .

ابتسم ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ وداعًا يا عزيزتى(سونيا) .

وأشارت (سونيا) بيدها فى اضطراب ، وتألَّقت عينا (راشيل) فى جذل ، وجذبت الذراع ..

وتهاوَى جسد (أدهم) عَبْرَ الفجوة .. وارتعد الحبل الذى يلتف حول عنقه لحظة ، وسمع الجميع صوت فقرته العنقية تتحطَّم ، ثم تراخى جسده تمامًا ..

ارتجفت (سونيا) على نحو ملحوظ ، حتى أنها عجزت عن إشعال سيجارتها ، وهى تغمغم فى اضطراب شديد :

ـــ هل .. هل مات ؟

انحنت (راشيل) تلصق أذنها بموضع قلب (أدهم) ، ثم ابتسمت فى فخر ، ولوَّحت بيدها قائلة :

ـــ لقد مات يا (سونيا) .

وانتفض جسد (سونيا) فى قوَّة ، وهى لا تصدِّق أنها قد قتلته أخيرًا ..

قتلت الرجل الذى طالما أذلها وهزمها ..

واختنق صوتها وهى تغمغم فى انفعال :

ـــ أرسلوا البرقية إلى المخابرات المصرية ..

وعادت تتأمل جثة (أدهم صبرى) فى انفعال متزايد ..

وغمغمت فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـــ لقد خسرت معركتك هذه المرَّة يا(أدهم صبرى) .. خسرت الجولة الأخيرة ..

ولم يجب (أدهم صبرى) هذه الليلة .. لم يجب أبدًا ..

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله ويليه الجزء الثانى

[انتقام شبح]